

ديانة قدماء المصريين



تأليف

جورج إستيندورف

أستاذ كرسي علوم المصريات بجامعة لبيترج

ترجمة

سليم حسن

ديانة قدماء المصريين

تأليف
الأستاذ استيندورف الألماني

وتعريب
سليم حميد

(الطبعة الأولى)

سنة ١٩٢٣

مطبعة الجرافيك شارع النجاة بجسر

الى استاذى العظيم

جولنشف

أهدى ترجمة هذا الكتاب

سيرة النبأ الخمر الخمر

مقدمة المعرب

وبعد فقد اهتمت أم العالم للتبيين منذ قرنين بكشف الثقاب عن مدينة قداماء المصريين ، وآثارهم وتبارى طواؤهم وأنضياؤهم وحكوماتهم في هذا المضمار ، وأوقف كثير منهم حياته وأمواله على تعرف أسرار هذه المدينة ودورها واقتناء آكارها . حتى انك لا تكاد تمر ببلد من أمهات بلادهم دون أن ترى فيها داراً لآثار المصريين ومدرسة لتعليم لغتهم . كل ذلك كان ولا يزال جارياً في أوروبا وغيرها ، على حين بقي المصريون أنفسهم في سبات عميق وسجل تام بأجدادهم وآثار مدنيتهم ، حتى أنهم كانوا يدوسون بنعالهم ويهدمون بماولم آكار تلك المدينة الخالدة . وهذا ما ساعد الأجانب للتأقنين على حل تلك القضاة الى بلادهم ، فزينت قصورهم وملأت دور قاعاتهم

يبدأ في هذا العصر حيث في مصر نسمة أروية هي يلاويب اجدى غار النهضة القومية التي جرت العالم . فقد أخذ المصريون أبناء أولئك العظام يعرفون حقيقة أجدادهم الذين عمروا أديم وادى النيل منذ آلاف السنين ، وأسسا فيه أول مدينة في التاريخ البشرى سطع نورها على العالم فاقبست منه الأجيال العابرة ونسجت على متوالها الأم الحاضرة . فلا غربة أن رجع أبناء النيل الى الانقياب الى جنتيتهم الخالدة ، وأحسبوا يرون القصر كل القصر في أنهم مصريون بعد أن كانوا لا يعرفون إلا أنهم « أبناء عرب » أو « ملدون »

لقد قتت بترجة معظم هذا الكتاب منذ سنتين ، ولكن لم تُصح الفرصة وقتئذ لانجاءه ونشره . فلما غا شعور الوطنية القومية وعم القصر بالجنسية المصرية رأيت من

واجبى اذاعة ما تملش القوم اليه من معرفة حالة بلادهم وأجدادهم القدماء . وكان كشف مقبرة توت عنخ آمون ، ذلك الكنز الذى يهر العالم وهز أركانه ، حققت الجماهير من أقصى البلاد زيارته وترك أبحار وبصائر كل انسان متطلعة الى معرفة أسرارها ، اكبر باعث وأعظم مشجع لى على الإسراع بالظهار هذا الكتاب

قد يترجم قارئ عنوان الكتاب أنه لن يجد فيه إلا مجرد ديانة واعتقاد غابر . ولكن الباحث فى تاريخ قدماء المصريين يدرك ما كان للديانة والحياة الآخرة من عظيم الأثر فى مدنية القوم وعظمتهم وفنونهم وآثارهم وسائر مرافق حياتهم ، لما بين هذه وثقت من وثيق الارتباط . ولولا معتقدات المصريين الدينية لما رأينا تلك المابد والمقابر والاهرام والتماثيل والمبثت المنحطة وطرف التن وغير ذلك

فالطلع على هذا الكتاب لن يقف على معرفة ديانة أجداده القدماء بحسب ، بل إنه سيرف كل ما توفى اليه نفسه من أسرار مذنبتهم وبراعتهم النبوة . هذا الى أنه سيفقد على نشوء وتدرج الديانة المصرية وتأثيرها فى فلسفة اليونان والرومان ومذنبتهم ، ويدرك فضلها على ديانات العالم قديماً وحديثاً

لهذا الكتاب قيمة لا يمد له فيها غيره ، فانه مجموع محاضرات ألقاها فى أكثر من ثمانى عشرة جامعة أمريكية ذلك الفيلسوف الألمانى الفذ والعالم الأثرى القدير « استيفردف » أستاذ اللغة المصرية فى جامعة ليزج وصاحب المؤلفات القيمة ومدير اكبر مجلة مصرية أثرية فى العالم ، فحازت محاضراته أعظم اقبال

خلت بمثابة المؤلف أثناء زيارته لألمانيا فى العام المنصرم ، ورجوته أن يسمح لى بفشر ترجمة كتابه ، ففضل بذلك ، وسره أن يطلع على كتابه أبناء أولئك العظماء الذين صرف حياتهم فى معرفة ودروس تاريخهم وآثارهم ، فلا يسحق ولا يسع كل مصرى إلا اسداء جزيل الشكر

واعيت فى ترجمتى متعنى الدقة ؛ فلم يطوح بى غرام بلاغة العبارات وروعة الأساليب الى خروج عن الأصل زيادة أو نقصاً . وقد حرصت كل الحرص عند ترجمة الأناشيد والأغاني القديمة على النص الحرفى دون تصرف أو تبديل ؛ فلاغرو

ان جاء في هذه بعض التوضيح . ولكن القارئ اذا رجع بنفسه ، فليس مع التوفيق
منذ آلاف السنين ، وخطت حياته وأفكاره بحياتهم وأفكارهم ، سهل عليه إدراك
ذلك الإنشيد ونحوها .

وقد اتبنا الكتاب بصورة معظم الأكلة وغيرها مما بهم القارئ رؤيته . ولم تكن هذه
في الأصل ، ولكن المؤلف سمح لنا بعد أن تم طبع الكتاب بإضافتها زيادة للإيضاح
والتي أشكر لحضرة الأستاذ عمر الاسكندري القدي ما قام به من مراجعة ترجمة
معظم فصول الكتاب . أما شكرى لصديق الأستاذ منصور سليمان القدي فيعجز
منه قلبي ، فقد راجع معي الترجمة على الأصل ثانية ، وفتح بعض النقاط المربكة ،
وقام بقراءة السجلات أثناء الطبع . وإن لمساعدة هذين القاضين أكبر أثر في
إظهار هذا الكتاب في شكله الحالي

ولا يفوتني أن أشكر للمسيو مونييه أمين مكتبة دار الآثار المصرية مساعدته في
جمع صور الكتاب ، كما أشكر لحضرة فحيم القدي ماري صاحب طبعة المعارف
ومكتبتها ما أظهره من العناية والصبر

هذا وإلى لأرجو أن يتم المصريين بأجدادهم اهتمام العالم الأجنبي بهم ، وأن
يخذوا حذوهم ويقتفوا آثارهم ، حتى يسترجعوا مجدهم ويحلوا محل اللاتين بهم ،
فيصبحوا جديزين بالانتماء إليهم ، والله للوفيق إلى طريق النجاح ؟

سليم عيسى

٢١ في القعدة سنة ١٣٤١
٦ يولي سنة ١٩٢٣

ديانة قدماء المصريين

المحاضرة الاولى

الديانة المصرية في نشأتها الاولى

مرحبا
الديانة المصرية
في تاريخ
العالم

قد لا يكون في تاريخ أمم العالم أجمع أمة تأصلت الديانة فيها وامتزجت بحياة أهلها امتزاجاً عظيماً كالأمة المصرية؛ ولا تكون منها حين إذا لم نستثن بني اسرائيل من بين هاتيك الأمم. لذلك إذا تناولنا البحث في ديانة قدماء المصريين فالتما نصف أمم جزء من تاريخ مدينتهم القديمة؛ وأن لدى الباحث في ديانة المصريين وأساطيرهم وقصايل عباداتهم وحفلاتهم مورداً فياضاً ومنهلاً سيالاً لا يزال ينمو ويزداد على مر الأيام بالكشوف التي ترى

فن زمن غير بعيد لم يكن بين أيدي الباحثين وللتقنين في هذا الموضوع غير المصادر الأجنبية أي ما نقله لنا كتاب اليونان الأقدمون أمثال «هيردوت» و«ديودور» و«بلوتارخ» و«هورابولون» مضاعفاً إلى ما ورد من ذلك في التوراة. أما الآن وقد حلت وموز الكتابات المروغليفية وارتاد الباحثون وادي النيل وحبوا عن آثاره تنقيحاً عليها طوال القرن المنصرم فقد سهل علينا الوصول إلى المصادر الأصلية وصارت أمانتنا جلية واضحة. أما مقدار هذه المصادر فيحفظه المداد لا يكاد يوجد متن واحد في اللغة

مصادر
الديانة
المصرية

المصرية القديمة والآلاف في دحل . فاما من جدار معبد أو مقبرة أو نصب
أو قطعة من الحجر الجيري أو الخزف للكتوب والآلاف التي عليها فائدة
تختلف في الأهمية في فهم معتقدات قدماء المصريين وشورهم الديني . هذا
عدا ما هو مدون من ذلك في معظم أوراق البردي . وقد لا تكون مبالغين
إذا قررنا أن تسعة أعشار ما حفظته لنا الأيام من النقوش المصرية القديمة
موقوف على أغراض دينية محضة وجعل العشر الباقي يشتمل على معلومات لما
دخل بالدين أيضاً

ولكن رغم وفرة التوثيق الدينية وللشروح الخاصة بالآلهة والتماثيل
والمعابد والمقابر التي أبقته يد البلى من عهد قدماء المصريين لا تزال معلوماتنا
عن ديانتهم ضئيلة ، وليس من المستطاع إلى الآن بحث هذا الموضوع بحثاً
علمياً دون أن يضطر الباحث إلى ترك فجوات في بحثه من جهة ، ولا بد له
من جهة أخرى أن يبنى بعض إجاباته على فروض نظرية قديسي أو يصيب
فيها . وأسباب هذه الحقيقة الغريبة التي تبدو مذهلة لأول نظرة كثيرة جداً
فإنه لا يشرب عن التعميم أن كل الموارء التي بين أيدينا يرجع الفضل في
وصولها إلينا إلى محض المصادفة إذ أن جزءاً كبيراً من مؤلفات القوم الدينية
حفظت لنا الأيام لا لسبب إلا أنه وجد متقولاً على قبر من القبور أو على
ورقة بردي عثر عليها مدفونة مع أحد الموتى في مقبره الأزلي غير أن هناك
كتابات دينية أخرى لا تقل عن تلك في الأهمية قد فقدت لأن المادة لم
تقضى بنقلها في نسخ عدة . ومن المحتمل أيضاً أن رمال الصحراء الجديدة
لا تزال تضم في جوفها وثائق عدة تنتظر الساعة التي يماط فيها اللثام عنها
وتظهر للعالم . يضاف إلى ذلك أن جل ما وصل إلينا من الوثائق والنقوش

المعلومات
عن الديانة
وسببها

الأسباب
الخارجية

وورق البردى لم يكتب إلا تباً لتقاليد مائتة خاصة ، ويتناول موضوعه الحياة الآخرة ولهذا كانت معلوماتنا عن أحوال الآخرة وقيرة . أما ما كان متداولاً بين الناس من الأساطير العدة الخاصة بالآلهة والتي لا بد أن يكون الكثير منها قد كسب قيمة أدبية جعلته يدون في بطون الكتب فلم يصل إلينا منه إلا الترويسير ؛ بل إن هذا القليل لم يصل إلينا إلا على شكل نف صغيرة متقطعة . هذا إلى أن الباحثين لم يثروا على مجموعة شاملة للفلسفة المصرية القديمة وذلك قص لا ينتظر أن يسعدنا الحظ بسده إذا أن نصيب هذا الباب من التدوين لم يزد على نصيب التاريخ المصري أو السياسة المصرية ولا بد أن نضيف إلى عوامل النقص الخارجية عن دائرة جهودنا عوامل أخرى داخلية . من ذلك أن ما وصل إلينا من الكتابات الدينية يعترض تهم بعضها مشكلات لم يمكن حلها وستبقى البحوث الطلية عاجزة عن إدراك كنهها زمنياً طويلاً . فمن ذلك أن كثيراً من المؤلفات الدينية (ويمكن أن نخص منها بالتذكر هنا ما يسمى بكتاب اللوق) لم يصل إلى أيدينا منه إلا نسخ قهلت في أزمنة متأخرة . أجل أننا إذا وازناً بين عدة نسخ مختلفة من هذا الكتاب أمكننا في بعض الأحيان أن نرجع بعض عباراته إلى أصلها الحقيقي غير أن الأصول التي بأيدينا كثيراً ما تكون محرفة للدرجة يستحيل معها بما لدينا الآن من الوسائل القليلة بأي تصحيح كان ؛ يضاف إلى ذلك ما يعترض الباحثين من العقد القنوية والاشكالات العلمية

الاسباب
الداخلية

فكانت نتيجة ذلك أننا وإن كنا نعرف طائفة عظيمة من أكمة قدماء

* ظهر حديثاً كتاب في الفلسفة المصرية يسمى تعاليم فيلسوف مصري ترجمه إلى الإنجليزية الأثرى الكبير « جردنر »

المصريين اسماً ومصورة ونعلم في أى معبد وعلى يد أى كهنة كانوا يعبدون
فاننا لم نقف تماماً على حقيقة كنههم أو مبلغ منزلتهم عند الكهنة ووجهاء
القوم بل لم ننتز على معظم الأساطير التي كانت تدور حول أشخاصهم .
ولكن على الرغم من كل تلك الفجوات في معلوماتنا فإن موضوع ديانة قدماء
المصريين فيه من اللشوقات الجمة ما يأخذ باليابنا ولا غرو فهي ديانة قوم
بلنوا شأواً بعيداً من الحضارة . ديانة تمت وترعت (كسائر مظاهر الحضارة
المصرية) بمنزل عن أى تأثير أجنبي . وقد بقيت ما يقرب من أربعة آلاف
من السنين وهي صاحبة للكتابة الأولى من نقوس أمة من أقدم أم العالم
وأعظمها شأناً

موضوع الديانة
مشرق

وقبل أن أتناول البحث في موضوعي الأصل — وهو شرح ديانة قدماء
المصريين — رأيت من الضروري تمهيداً لا يوضح أطوار تدرج الديانة ونموها
أن أكتب كلمة موجزة عن تاريخ قدماء المصريين أو على الأقل أهم عصور تاريخهم
ولنبداً بتقسيم تاريخ ملوك مصر ناهجين في ذلك تهيج مانيبتون —
وهو كاهن مصري وضع مؤلفاً عن تاريخ مصر باللغة الاغريقية مسترشداً
في هذا الامر بما وصل الى عهده بطريق التواتر نبيلاً بعد جيل

قسم مانيبتون ملوك مصر من عهد ميتا أول ملوك القراعنة الى عهد
الاسكندر الأكبر الى احدى وثلاثين أسرة . وهذا التقسيم ينطبق بوجه
عام على الأمر الملكية المختلفة التي حكمت بالتتابع أو مجتمعة في وادي النيل .
ولتسهيل تمرير الحقائق على وجه عام جرت العادة أن تقسم هذه الأسر الى
عصور أو دول . وأهم هذه الدول ثلاث — الدولة القديمة والدولة الوسطى
والدولة الحديثة . على أنه من أصعب الأمور وضع تواريخ مؤكدة لتمييز أزمنة

هذه الأسر أو مدة حكم كل من ملوكها . ولهذا نكتفي هنا بالتولخ التاريخية
 فيما يتعلق بالأزمنة الأولى . ولا ينبغي عن أذهاننا أن الأرقام التي أوردناها
 لم تعتمد بصفة قاطعة ، بل قد تكون قابلة للتغير تمصاً أو زيادة بنحو مائة
 سنة أو أكثر ، ولا يمكن اعتبار التولخ صحيحة حقيقة إلا عند ابتداء حكم
 الأسرة الثانية عشرة وذلك بفضل الشواهد الفلكية التي ترجع إلى ذلك العهد
 « مصر منحة من النيل » عبارة قام بها هكاتب الجنرال في اليوناني وكان
 أول من نقلها عنه هيرودوت ثم ردها بعده آخرون ؛ وهي تم عن كثرة أرض
 مصر باختصار ودقة تسيير لا يمكن مجازاتها
 ففي المنضية الصحراوية التي تشمل كل الجزء الشمالي الشرقي من القارة
 الأفريقية حفر النيل مجراه من آلاف من السنين عمقاً أحجارها الرملية
 وصخورها الجيرية في حين أن ما كان يرسب من مياهه من القرن صلباً بعد
 عام جعل الجزء الأسفل من هذا الوادي (وهو مصر الأصلية) من أخصب
 بقاع المعمورة

وكان يقطن وادي النيل في العصر الأولى للتوغة في القدم رتوح
 أفريقيون ؛ ولم يقتصروا على شمال الخرطوم الحالية بل كان سكان مصر من
 هذا الجنس أيضاً

وكانت لغة القوم إفريقية الأصل وديانتهم لا تكاد تميز عن الوثنية
 الساذجة التي يدين بها جم غفير من القبائل الإفريقية الحالية . وكان الفلاح
 المصري إذ ذاك يفلح أرضه بنفسه ويشقها بمجراته بعد انخفاض الفيضان
 وكانت الأرضي الرملية يرف مصر مري لمدد وفير من أسراب الماشية
 أما فروع النيل الراكدة للمياه والمستنقعات الكثيرة الناتجة للتراكمية الأحرار

تسم تاريخ
 مصر حسب
 ما يثرون

مكانه
 يرف مصر

أصل سكان
 وادي النيل

لغة المصريين
 وديانتهم

وصناعاتهم

بالوجهين البحرى والقبلى فكانت تكتنفها الاعشاب الكثيفة من البردى
ويؤمها عجل البحر والتماسيح وطير الماء . وكان المصرى يصل الى تلك البقاع
الموحشة فى زورق من البردى ليصطاد بمخطفاته ويرشق ينبذه حيوان هذه
الاستنقعات أو كان يصعد الى قم التلال الصحراوية التى تكتنف حافى الوادى
يفتنس فيها السباع أو الضباع أو بنات آوى

حالة البلاد
الصحراوية

وفد كانت الحاجة الى طلب القوت سبباً فى تعلم القيام بتربية الثور والتمسح
الى مراقب الحضارة ونور العلم ؛ فكانت وفرة الماء الذى يفيض على تربة
مصر كل عام داعية لتوزيعه بالتساوى على الحقول . ولتحقيق هذا الغرض
كان لا بد من إقامة السدود وحفر الترع وإنشاء الخللجان وبناء الجسور .
وكذلك كان لا بد من تبخيف المستنقعات لتحويلها الى أراض زراعية . كل
هذه المجهودات يتخذ على الفرد القيام بها وحده ؛ لذلك كان زائماً على السكان
أن ينضموا ويؤثقوا من أنفسهم وحدات كبيرة تلقى كل منها مقابلد أمرها
فى يد رئيس رأسها . ومن ذلك تكوّن أمارات صغيرة يحكمها رؤساء صفار
تلك حتماً كانت الدرجة التى وصل إليها المصريون الأقدمون من التقدم

والبيسة

السيلسى والعمرانى حينما تزل على البلاد سيل من البدو منحدر من بلاد
العرب مبهطاً أجداد الجنس السامى عن طريق برزخ السويس ؛ فاجتاحوا
البلاد واستولوا عليها دفعة واحدة كما وقع فى القتح الاسلامى . ولم يكن
للجنس الافريقى قبل بمقاومة الاسيويين بل أنهم تخفوا لثة الغزاة لثة لهم
وان كانوا قد أكسبوا مسحة من لغتهم الاصلية . بيد أن غزاة العرب
الفتح السامى خضعوا عن طيب خاطر الى التمدن المصرى الذى كان يلامره يفوق مدنيتهم
ولم يمض طويل زمن حتى انتمج القاهر فى القهور وصار الثرىان أمة واحدة

ولم يبق لنا الايام شيئا يدلنا على هذا الفتح المباهج الذى حدث قبل انبثاق آتاه الى الله
فجر التاريخ وليس لدينا ما يؤيد صحة سوى القرابة اللغوية وهى التى اعتمدنا
عليها فى تخيل تلك الحوادث التى ذكرناها باختصار

وفى فجر التاريخ تكوّن من الامارات المختلفة التى نشأت فى البلاد
المصرية مملكتان عظيمتان وهما للملكة المصرية السفلى وتشمل الاراضى
الشمالية وهى ما يقابل لدلتا الآن وللملكة المصرية العليا « الجنوب » وتمتد
من جوار مدينة القاهرة الحالية الى جنادل أسوان . وكانت حاضرة الدلتا
(الأرض الشمالية) بلدة « بهدت »* وكان موقعها مدينة دمنهور الحالية أما
ملك الجنوب فكان يقطن فى « ابص » على ضفة النيل الغربية شمالى
الأقصر وعلى مقربة منها . وقد ظلت هاتان المملكتان جنبا جنباً أجيالاً
مستقلة احدهما عن الاخرى الى أن اندمجتا احدهما فى الأخرى وتكونت
منهما دولة واحدة . وقد حدث ذلك الاندماج عند ما غزت مصر السفلى
مصر العليا ومن المحتمل ان عاصمة الدولة الجديدة التى تألفت منهما كانت
بلدة « هليوبوليس » (عين شمس) الواقعة على حدود تلك الولايتين .
وتعرف هذه البلدة عند قدماء المصريين باسم « آون » وقد أصبحت فى الوقت
العاصمة آود

نفسه مبعط العلم والعرفان فى طول البلاد وعرضها

ويعتبر علينا أن نقرر ولو على وجه التقريب طول المدة التى استغرقتها
اتحاد القطرين حتى تكونت منهما دولة واحدة تحت حكم ملوك الدلتا .
وغاية ما نعلمه ان أوامر هذا الاتحاد أخذت تتبل عقدها تدريجاً فأفضى ذلك
الى انقسام الدولة ثانية الى ولايتين الوجه البحرى والوجه القبلى . عند ذلك

* المذروب الآن عند علماء اللغة المصرية ان بلدة بهدت هى دمنهور الحالية

تحولت عاصمة الشمال (الوجه البحرى) الى « بوتو » الواقعة فى منافع الدلتا
 على مقربة من ساحل البحر الأبيض المتوسط . وتخذ ملوك الوجه القبلى
 حاضرتهم فى الجنوب الاقصى فى مدينة « نخب » « الكاب » وهى التى
 أطلق عليها اليونان فيما بعد اسم Eilthyiopolis والظاهر أنه مد هذا
 الانفصال لم تكن الدلاحة بين ملوك « نخب » « الكاب » وبين ملوك بوتو على
 أحسن ما يكون من الوثام والصداقة فقد أخذت نار الحرب يندلع لحيها
 بين أهل القطرين من حين الى آخر فكان أهل الصعيد يلقون الرعب
 والفرح فى قلوب أهل الدلتا وشامة فى مدينته « بوتو » ومن هذه المشاهدات
 خرج أهل الصعيد ولواء النصر معقود على جباههم فأخضعوا الدلتا بحمد السيف
 وبذلك انضم القطران ثانية وكونا دولة واحدة جديدة

وقد لا نكون مبدين من الحقيقة اذا قرونا أن « مينا » الذى قال
 مؤرخو اليونان أنه أول ملك معروف من بنى البشر حكم مصر متعددة هو
 الملك الذى قام بتوحيد القطرين ثانية سنة ٣٣٦٥ قبل الميلاد ؟ غير أن ما
 وصل لينا من المعلومات عن مينا وأخلافه من ملوك الأسرتين الأولى والثانية
 (٣٣٦٥ - ٢٨٩٥ ق . م .) قليل جداً . وكل ما نعلمه أنه أسس على الحد
 الفاصل بين الأراضين (الدلتا والصعيد) « الجديان البيضاء » (منف) وهى
 قلعة شيدتها لتلقى الرعب والفرح فى قلوب أهل الدلتا للقيرويين . وقد اتخذ
 ملوك هاتين الأسرتين مقرهم من مدينة طينة الواقعة على مسافة قريبة من
 العراية المدفونة حيث كشفت قبورهم الساذجة فى ختام القرن المنصرم

وباستيلاء ملوك الأسرة الثالثة (٢٨٩٥ - ٢٨٤٠ ق . م) على صوبجان
 الملك تحولت العاصمة الى منف أو منفيس وتعتبر هذه الأسرة بداية الدولة

احمال
 القطارين ثانية

ص. القطارين
 م. م. م.

مينا أول
 ملك مصر

القديعة التي استمرت الى نهاية الأسرة السادسة التي قدرنا مدة حكمها من (٢٨٤٠ - ٢٣٦٠ ق. م). وهذا العصر من أعظم عصور مصر بلغت فيه البلاد الذروة في الحضارة والفنون؛ وفيه ابتدأ بناء الأهرام العظيمة وبخاصة الدولة القديعة « اهرام الجيزة » التي تنسب الى الثلاثة الملوك الشهيرة الذين تربعوا على عرش مصر في خلال الأسرة الرابعة وهم : خوفو وخفرع ومنقرع؛ ولهذا السبب اطلق على عهد الدولة القديعة « عصر بناء الأهرام »

ولم تكند أيام الأسرة السادسة تنتهى حتى انقرط عقد نظام الدولة المصرية، ففشت الفوضى في داخل البلاد، وساد سوء التنظيم في أرجائها، وبقيت الحال كذلك حتى اعتلى أرمكة الملك ملوك الأسرة الحادية عشرة؛ وهم من سلالة أسرة بنبت في طيبة في الوجه القبلي وقد تمكنوا من توحيد كلمة البلاد وتوطيد الحكومة والتنظام (٢١٦٠ - ٢٠٠٠ ق. م.)

ومنذ حكم ملوك الأسرة الثانية عشرة الذين كانوا يسمنون إما لينمضت وإما أسرئسن، ابتدأ عصر فلاح وقدم في تاريخ البلاد يعرف بهذا العهد الوسطى، وتعتبر مدة حكم هذه الدولة من (٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق. م.) وقد فتح ملوك هذا العصر الأهرام أعالي وادي النيل المعروفة ببلاد النوبة وقاموا بأعمال عظيمة كبناء للهيمنة « قصر التيه » الشهير بالقيوم؛ وكذلك بنت في عهدهم الآداب ولزدهت لدرجة جعلت أخلاف الدولة الوسطى من الأجيال المصرية يمدون عصرها العصر الذهبي في الكتابة والتأليف.

ثم أناخبت على البلاد فن داخلية جديدة كانت سبباً في انحلال الدولة الوسطى، وللقضاء عليها قضاء مشينا. وقد حدث وقتئذ جاذث على جانب عظيم من الأهمية من الوجهتين الدينية والسياسية. فذاك هو اجتياح البلاد

ببائل من البدو السامين، اقتضوا عليها من طريق الصحراء الشامية بقيادة ^{عبد} «المكسوس» الحكوس أو ملوك الرعاة؛ وقد انتهزوا فرصة تزعزع الحالة السياسية في مصر واستولوا عليها بلا ضرب ولا طعن. وقد بقوا أصحاب السيادة فيها قرناً من الزمان من (١٦٨٠ - ١٥٨٠ ق. م.).

وقد كان الهوض بالبلاد ثاية وطرد هؤلاء النزاة الأسويين بعد شجار عيف احتدم وطيه سنين عدة على يد أمراء طية. ومن هذه الآونة افتتح ^{طرد} ^{المكسوس} عصر مجد جديد تمثلت فيه عظمة مصر وقوة بطشها، وهو ما يسمى عند المؤرخين بالقبولة الحديثة.

ويتبدى هذا العصر بالأسرة الثانية عشرة، وينتهي بالأسرة العشرين، ويمتد من (١٨٨٠ الى ١١٠٠ ق. م.). وفيه نرى ملوك الأسرة الثامنة عشرة ^{الدولة} ^{الحديثة} اللطام، أمثال نخمس وامنحوب، يحدون الجيوش الى آسيا ويسوقونها في قروحهم حتى يوردوها شواطئ القنات؛ وأصبحت في عهد كل سوريا ولاية مصرية.

ومن ثم أخذت اللاتق للتينة تنمو بين مصر وأمم الشرق المتمدية وبخاصة آشور وبابل، كما توطدت بينها وبين جزر البحر الأبيض المتوسط؛ وقد كان لهذا الاختلاط أثر بين في حياة الأمة الاجتماعية والسياسية والفنية. وفي عهد ملوك الأسرة التاسعة عشرة الذين تسموا «بسيي» و«رمسيس».

شهدت مصر معظم ملها من الجاه كدولة قوية، وبالرغم من الانتصارات الحربية المدة التي أحرزها راعمة الأسرة العشرين، لم يكن في مقدورهم إيقاف ^{عصر} ^{الرعاة} تيار الانحلال. وقد كان من جراء ذلك أن قام رئيس كهنة أمون في مدينة طية (الأقصر) وتربح على أريكة الملك. على أن مدة حكم الكهنة لم تدم

طويلاً؛ إذ انتزع منهم رؤساء الجيش من جنود الماريين للزرقة صوبطان
 الملك، وسكنوا أصحاب القوة والسلطان في البلاد نحو قرن من الزمان. ثم أخفت
 البلاد مرة أخرى في الانحطاط تدريجاً، وانقسمت إلى أمارات صغيرة. ثم
 نفى على هذه الولايات ملوك النوبة الذين انحدروا من الجنوب وغزوا وادي
 النيل، فدان لسلطانهم إلى أن أجلاهم عنه ملوك آشور العظام، فصارت مصر
 مدة من الزمان ولاية آشورية. ويشتد عصر تسلط الأجانب من الماريين
 والدوبيين، والأشوريين، أي من الأسرة الثانية والعشرين إلى نهاية الخامسة
 والعشرين، من أعظم عصور التاريخ المصري القديم وانكسارها

الاسم
 التي حكمت
 مصر

وفي النهاية صنعت الفرص لبسيتيك أحد سلاسل الفراعنة، غطى نهر
 الحكم الآشوري، وقضى على حكومات الأمراء الصغار، وأعاد إلى مصر وحدتها
 واتحادها. وفي أيامه وأيام أخلافه من فراعنة الأسرة السادسة والعشرين
 (٦٦٣ - ٥٢٥ ق. م.) أشرق على البلاد عهد رخاء وتقدم؛ فتمت التجارة
 وانتشرت بفضل السلاسل التي وطدت دعائمها بين مصر وبلاد اليونان، ونهضت
 الفنون أيضاً نهضة جديدة. ويرجع عهد بندر بنور هذه النهضة إلى عصر
 ملوك النوبة؛ إذ يمت قديم ورعهم الذي حب تقليد المتأخرين للمصرية في عهدها
 الأدبي، وهو عهد الدولة القديمة؛ ولم تقف هذه الروح عند الفنون بل ظهرت
 أيضاً في عبادة الآلهة وللوك الأول وفي الآداب والكتابة وألقاب رجال
 الدولة فتجد القوم أغرموا في كل ذلك بتقليد ما كان متبعاً في عهد الدولتين
 الوسطى والقديمة. ولا عراة إذا إذا أطلق على عهد الأسرة السادسة والعشرين
 عصر « النهضة المصرية »

عصر
 النهضة
 المصرية

ولكن واحسرتاه، فإن هذه النهضة لم تدم طويلاً، إذ في عام ٥٢٥ ق م

فتح « قيز » ملك الفرس البلاد المصرية وقضى على استقلالها القضاء المبرم ،
 وبقيت ولاية فارس الى عام ٣٣٢ ق . م . وهو العام الذى سقطت فيه مصر
 في يد الاسكندر الأكبر . ولما تمزقت دولة هذا الفاتح العظيم بعد أن
 عاجله للنون وهو في شرح الشباب ، كانت مصر من نصيب بطليموس بن
 لاغوس أحد قواد الاسكندر ، وأخلافه من بعده . وعرف هذه الأسرة
 فى التاريخ بالبطالة « أو لجند » . وبقي ولدى النيل خلال للثلاثة القرون
 التى حكموها فيه مركزا لدولة زاهرة زاوية الى أن انشبت الفتن الداخلية
 أظفارها به واحتدمت نار المشاحنات بين مصر والرومان ، قادى ذلك بعد واقعة
 « كتيوم عام (٣١ ق . م) الى سقوط البلاد في يد « أغسطس » امبراطور
 الرومان . وقد ظهر كل من ملوك البطالة وملوك رومية بمظهر أخلاف
 للفراعة ، وحافظوا فى الظاهر على معالم الحكومة المصرية القديمة ، فاحترموا
 معتقدات رجالهم للمصرين الدينية ، بل أنهم اشتركوا فى تشييد المعابد الضخمة .
 يد أن مواهب القوم الخلبة كانت قد قضى عليها وانحمت الحياة القومية
 من البلاد ؛ فلم يكن هناك عائق يذكر يحول بين دخول الدين المسيحى فى
 أرض الفراعة واقتلاره فى أرجائها

الفتح
المارسى

عصر
البطاله

عهد
الرومان

من أراد أن يف على كنه أفكار قنمدا للمصريين وشعورهم الدينى
 فى القصور التاريخية وجب عليه أولاً أن يرجع البصر كرا ليتلمس شيئاً عن
 عبادة أولئك القوم فى عصورهم للظلمة قبل بزوغ العصر التاريخى وقت أن
 كانت الأرضان (الوجه القبلى والوجه البحرى) لا تزالان جاثقتين مستقلتين
 الواحدة عن الأخرى ، ولم تكن بمذكل مصر متحدة مكوّنة لدولة واحدة .
 لما غزا الساميون البلاد أخذوا عن الأفريسيين سكان مصر مد نفبتهم الراقية

ثاني
الفتح
الساكن
في مصر

وتدنيوا في الوقت عينه بدياتهم الساذجة . ولربما خطر ببالك أن تتسائل هل احتفظ أولئك القوم بمعبوداتهم التي كانوا يعبدون بها في الصحراء مسقط رأسهم ، وهل راق بعض هذه المعبودات في أعين المصريين القهورين ؟ أو ، بالاختصار ، هل كان للساميين أثر في معتقدات المصريين الأولى ؟ إن هذا السؤال يستفز أن نجيب عليه إجابة علمية شافية . حقا أنه من السهل جدا أن يتلاعب الباحث في أصول الكلمات فيتخذ من هذه الاعتبارات اللغوية حجة للقول بأن بعض الآلهة المصرية سامية المنشأ ، أو أن يسقط من مجموعة المعبودات المصرية ما لا ينطبق على الفرض الذي يصوره له الخيال . غير أن أمثال هذه الفروض لا تحتل صحتها لما فيها من الجرأة ؛ ولأنك ترى من الصواب أن نحجم ولو مؤقتا عن الخوض في غمار التخيلات والفروض التي تميز وجود أصل أسبوي أو سامي في أي عنصر من عناصر الديانة المصرية القديمة في عهدنا الأول قبل ابتداء فجر التاريخ

وغاية ما يمكن أن يستد به من الحقائق الثابتة في هذا الصدد هو أن مصر في عهدنا الأول لم تكن فيها وحدة دينية ، فكان في كل مدينة وفي كل بلدة وقرية معبودها الخاص الذي يحمي حوزتها والتيه كانت ترفع السكان أكف الضراعة إذا دهمهم خطر ، فيلتصون بمعونه ، ويتنقون وضاء بالفضحايا وإقامة الصلوات ، لاعتمادهم ان سعادة المجتمع وشقوته في يديه ، فكان هو رب المقاطعة « أو له المدينة » كما ذكر على النقوش . والحقيقة أن مثله كان كذلك الحاكم الديني متسلطا على رقاب كل من القيت مقاليد أمرهم بيده . يحمي حياتهم ويحفظ سلمهم ويدفع عن ملذتهم كل طارئ أجنبي مفاجئ . وكان رضاه رحمة على الناس وغضبه قسمة ومثقلة لهم

عائد
إلى
كل مقاطعة

وقد بلغ من شدة ارتباط هذه الآلهة بتقاطعاتها ان بعضها فقد اسمه الخاص وصار يسمى فقط باسم الجهة التي يسيطر عليها ويظهر بطشه فيها. فمن ذلك ان اله ادفو المحلى كان يذكر باسم «اله ادفو» والهة الكاب كانت تدعى «سيدة الكاب». على أنه مما لا ريب فيه ان العادة جرت بأن يسمى كل اله على باسم خاص؛ فكان اله متغيس مثلاً يدعى «فتاح»، واله مقاطعة للشلال القرية من القرية اسمه «خشم»، واله «لمبص» القرية من نقادة «بالوجه القبلي» اسمه «سوتج» أو «ست»، واله «قنط» الواقعة على طريق القوافل من النيل الى البحر الأحمر اسمه «من»، ومعبود الفيوم في اقليم بحيرة موديس اسمه «سبك». ومن بين الالهات تذكر الالهة «حاحور» سيدة ذنبره، وللمبودة «تيت» الهة سايس (صالحجر) في الدلتا و«سخت» الهة إحدى ضواحي منف. وهذا قليل من كثير، اذ من المستحيل ان نعد كل للمبودات المحلية؛ لأن هذا يحتم علينا ان نسردها كلها كل الأماكن المصرية القديمة، وذلك يعدنا كثيراً عن غرضنا الأصلي.

أما مدلول أسماء هذه الآلهة فانه يصعب علينا جداً أن نقرر عنه شيئاً باليقين، اللهم إلا أسماء قليلة مثل لفظة «سخت» (الهة منف) التي نعلم أن معناها «القوية». والحقيقة أن أصول هذه الكلمات ليست معلومة لدينا في أغلب الأحوال؛ فإذا قيل مثلاً ان اسم الاله «فتاح» فيه علاقة لفظية بالكلمة العبرية «فتاح» التي معناها يفتح أو يفتحه وأنه يصح لهذا الاعتبار أن يسمى «بالتحت» أو «الصانع»، أو اذا قرر اسم المعبود حوريس على حسب اللغة المصرية القديمة بمعنى «الواحد العالي أو الواحد السماوي»، فان كل ذلك لا يتركز على أسس متينة ولا يخرج عن دائرة الظن والتخمين؛

الالهة يسمى
باسم المقاطعة

أسماء
بسم الاله

أسماء
بسم الالهات

مدلول
أسماء الالهة

يضاف الى ذلك انه كان لعلماء اللاهوت عند المصريين ولم بالانكباب على درس أصول هذه الكلمات، فتلاعبوا بألفاظها حتى تخالفا على تفسير أسماء الآلهة ووضع صفات لها؛ فتلاً لفظة « امون » التي كانت تطلق على مبدؤ الدولة الحديثة فسروها « بالواحد الخفي » أو « الواحد السرى » باعتبار ان تلك اللفظة من قبل « امن » في اللغة المصرية القديمة التي معناها « يخفى » . وروى بلوتارخ^١ للؤرخ اليوناني في كتابه دى أسيد^٢ De Iside ان لفظة امون على ما جاء في منبتون معناها « ما خفى » أو « الخفاء » . وبما لا جدال فيه ان علماء اللاهوت كان في ذهنهم الله يدينون به في السر، ويسمى عندهم الاله المسكنوم اسمه ؛ غير ان اللغى الأصلى لكلمة « امون » لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون كما فسره هؤلاء العلماء .

وكانت مهمة كل مبدؤ من هذه المبدؤات المحلية تقتصر في الأصل في حماية بلذته، فلا سلطان له خارج حدودها . بيد أننا نجد أن طائفة كبيرة من هذه المبدؤات كان لها من الأهمية ما لبثت أن مدت نفوذها وراء مناطقها، مما يدل على انتشار الآراء الدينية في تلك المصور للحقيقة . مثال ذلك ان للبود امون الله طيبة كان أيضاً الله الخصب والتماء في مصر كلها ، والمبود « من » الله « فقط » الذي يتنل عند اليونان الأقدمين بالاله « بان » كان من مميزات حماية لسراب للاشية والسبل والقوافل وبخاصة طريق الصمر الذي يبتدى من « فقط » محترفاً للجلال والصحارى الى البحر الأحمر . وكذلك المبودة « سخمت » العظيمة الهة منف كانت تنبر الهة الحرب الخفية التي تتكل بالمدو وتسحقه . وكذلك الالهة حانحور مبودة « دنثرة » كانت تمثل الهة الحب والفرح . وفي كثير من الأحيان عُرِيت لهذه

نفوذ المبود
للسبل

الآلهة المحلية علاقات بقوى الطبيعة وبخاصة الأجرام السماوية ؛ فالعبود تحوت
 اله الأثيمون « هر مؤيريس » وهو الذي مثله اليونان بعبودهم « هر ميس »
 كان يعتبر لله القمر وقد ظهر بهذا المظهر في متون الاهرام . وكان الاعتقاد
 السائد عند الأقدمين انه هو الذي حدد فصول السنة ووضع نظام الطبيعة ،
 ولهذا اعتبر أيضاً محترم للكتابة واللغة وخالق للراقيت وللقايس والالعلم والعرافان
 وأعظم من ذلك أنه كان بين عبودات قدماء المصريين المحلية عدد
 وفير ينسب الى أعظم الأجرام السماوية اضافة وتسمى بذلك كوكب الشمس ،
 فكان كل من هذه العبودات في الأزمنة الأولى يمثل الشمس في شكل
 خاص به ؛ ولكن تأثير ذلك في تطور الديانة المصرية له شأن آخر في حالة
 العبود « حور » أو « حوريس » الذي يعد من أم الالهة عبادة وأمهان
 الوجهة القومية للمصرية ؛ اذ بالرغم من أنه كان الاله المحلي لكثير من المدن
 كان عبداً في طول البلاد وعرضها ممثلاً لله الشمس الأعظم ؛ وسنعود قريباً
 الى الكلام في هذا الموضوع بسهاب . وكان هناك عدا ما ذكرنا من الالهة
 المحلية للمطام عدد ليس بالقليل من الالهة للضغار ومن الملائكة والشياطين
 الذين كانوا أقل جشاً . ولما كان في وسعهم أن يغموا القوم أو يلحقوا بهم
 إلاذى في أحوال خاصة كان الناس يسعون لاستجلاب رضام وعطفهم .
 فبئلا كان يدعى بعض الالهات الشفيقات الثلاث كن يمدن يد المساعدة
 للنساء عند الخاض ؛ اذ كان القوم يستمدون أن في أيديهن تسهيل الوضع
 أو تخفيفه ؛ كذلك كانوا يستمدون وجود ملائكة تأتي للطفل الوليد في مهبه
 لتقرر مصيره . وكان العبود المميز « يس » الغريب الخلق من أكثر هذه

الالهة الى
 تنسب الى
 الشمس

الملائكة
 والشياطين

للمعبودات حجة ؛ فكان القوم يعتقدون أنه أتى الى مصر من بلاد « بَنْت »
(الصومال) بلاد الروائح الطرية ؛ ولذلك كانت ميزته حماية الروائح الزكية
وألوان زينة الوجه والمرايا وكل ما يلزم للتأنيق في الرى

واذ كان للاله المحلى قوة تفوق قوة البشر كان له تأثير محدود في حياة
بنى الانسان ويقدمون له في مقابله المطايا والقرابين . وكان هذا الاله في
اعتقاد القوم يظهر لبياده في شكل واضح جلى ، فكما أن روح الانسان
تأوى جسده للظاهر كذلك يتخذ الاله له مأوى خاصاً يكون مظهره له . وقد
جرت العادة أن يتخذ الاله سكناً له الأحجار والأشجار والعمد والحيوانات .
فمثلاً اله مدينة « دودو » الهى عرفت باسم أبى حير فيما بعد كان يأوى قطعة
خشب ساذجة ؛ وكذلك اله الطريق « من » في مدينة قِطْط كان يظهر لها على
شكل عصا أو على شكل تل من الأحجار . والأغرب أن هذا التل كان
يوضع بحجاب الطريق ليضيف اليه كل سائل حجراً جديداً كما نشاهد عند
البدو الآن . وكانت للمعبود « حاتور » تسكن شجرة الجيز كما كانت الهة
أخرى مجهولة الاسم تأوى الى شجرة الزتون . على أنه كان أكثر شيوعاً
مما ذكر أن يتصور الانسان الاله في هيئة حيوان ، بذلك على ذلك أن اله
الماء « سبك » الهى كان يسبح في جهة القبوم كان يظهر على شكل تمساح ؛
وظهر معبود متدنيس لبياده في شكل جدى ، وظهر « خنم » معبود
مقاطعة الشلال في شكل تيس ، وظهر « آمون » معبود طيبة في شكل كبش
يقرون ملتوية تغطى أذنيه ؛ ويحلى « وپوات » اله أسبوط في شكل ذئب
وكان « تحوت » معبود بلدة هرموبوليس (الأشمونين) يظهر في هيئة فرد
أو أبر فردان ؛ وكثير من الآلهة كان يظهر في هيئة باشق كاله الشمس

مظاهر
الالهة
الحية

« حوريس » والله القمر « خفس » معبود طيبة والله الحرب « متو » الذى كان يمسد فى طيبة وفى « هرمنتس » ؛ أما الالهات المختلفة فكان يظهرن فى هيئة القطط واللبوات والحقبان والحيات . فكانت « سخمت » الهة منف و « بخت » الهة حى حسن تظهر كل منهما فى شكل لبوة كما كانت الهة بوسطة تظهر فى ثوب قطة و « حنخور » الهة دندوة فى شكل بقرة ، وكانت « موت » الهة طيبة و « تحيت » الهة الكاب تملان فى شكل انثى العقاب . أما « يوتو » معبودة الوجه البحرى فالتخذت الحية شكلاً لها وان تقمصت لفقر أحياناً . ومما سبق يتضح جلياً أن الموضوع الذى سنتناول البحث فيه هو موضوع ديانة وثنية تامة النحر والتطور

مظاهر
الالهات
الطبية

وقد يتبادر للذهن لأول وهلة ان هذه التخيلات الساذجة عن الالهة غريبة فى بابها ولا تليق بأمة متحضرة ، بل قد وقع بالفعل أن اليونان والرومان لما اختلطوا بالمصريين لأول مرة هزوا رموسهم استهزأ بهده العقائد والتخيلات ، غير أن أشياء هذه التخيلات لم تدم اضربها بين بعض الأمم للتعمدية الأخرى كالساميين واليونان الأقدمين أنفسهم ؛ فان الساميين كما نعلم كانوا يبدون الآلهة فى شكل الأشجار والأحجار والعمد والحيوانات ؛ كذلك نعرف عن اليونان أن « هرemis » الهه للرعى والطرق كان يظهر عندهم فى شكل كومة من الأحجار ، كما كان يظهر مثله المعبود « من » عند قدماء المصريين . وكان الاله « وبوات » يجلى فى شكل ذئب والاله « ارتميس » فى شكل « دب » والالهة « هيرا » زوج الاله « زوس » فى ثوب بقرة . واداً علمنا أن الطائر للقدس للمعبود « زوس » هو النسر والمعبودة « أفروديتى » هو الجميلة والالهة « أثينا » هو « البومة » فان ذلك لا شك يدل على أن هذه

النشأة
من الهة
نساء
المصريين
والساميين
واليونان

المعبودات كانت في الأصل تتجلى لمبأدھا في صور هذه الحيوانات. وقد خطت هذه لوثنية خطوة الى الامام في عهد الاسرة الثانية، اذ بدأ قدماء المصريين يتناولون معبوداتهم في شكل انسان؛ فقد أخذ الاله يظهر بجسم انسان ورأس الحيوان الذي بأوى اليه، وكان يرتدى الملابس التي كان يرتديها المصريون أنفسهم وهي عبارة عن قميص قصير مدلى خلفه ذيل حيوان اسوة بأزياء الملوك الأول. وكذلك كان يحمل عنواناً على قوته سيقاً وصولجاناً. أما الالهة فكانت تحمل في يدها ساقاً طويلة من نبات البردي

وقد كان لهذا الانقلاب أثر ظاهر في تلك الوثنية القديمة، فتحولت الأوثان المقدسة الى أصنام ذات صور بشرية وذلك يجعل الوثن يظهر في شكل جسم مزمل بالأربطة. ولا يبعد أن تكون صورة للمعبود « من » نشأت من هذه الفكرة؛ بل ربما صح ذلك أيضاً في «فتاح» الله منف. وقد حدث مثل ذلك الانقلاب حتى في الآلهة التي كانت من بادئ أمرها تظهر في شكل حيوانات، غير أن رأس للمعبود بدلاً من أن تكون رأس انسان بقيت رأس الحيوان المقدس لدى هذا الاله؛ فكان « سبك » يمثل بانسان رأسه رأس تمساح، والاله «نحوت» يمثل بجسم انسان ورأس (أبو قردان)، ومعبودات أخرى كانت تمثل بجسم انسان ورأس باشق. وكانت للمعبودة « سخمت » تظهر بجسم امرأة ورأس لبؤة والالهة « حت » بجسم امرأة ورأس صندقة. ومهما ظهرت أملياً هذه الأشكال يظهر السخافة وخرجه في نظرنا عن حد العقول، فان الانسان لا بد أن يستوفى بأن أهل الفن من المصريين أظهروا في صنع التماثيل وعمل النقوش البارزة كفاءة فنية ومقدرة نادرة في تركيب رأس الحيوان على جسم الانسان. ومن وقتئذ لم يترجح

الاله و
شكل سان
برأس حيوان

مباراة
المصريين
في صنع
التماثيل

المصريون عن معتقداتهم القديمة في معبوداتهم قيد شجرة، بل ظلوا يثلونها في أشكالها الوثنية الى أن انحست من العالم جملة

وفضلاً عن هذه الآلهة المحلية التي كان يتخيلها المصريون — في ثوب حيوانات، كانت هناك حيوانات أخرى تعبد على أنها آلهة في ذاتها، ولها أماكن خاصة تقديس فيها، وتوقفت في ذلك الحيوانات التي كانت تسترعى أعجاب الفلاح للمصري بما لها من القوة التي تفوق قوة البشر، نخص بالذكر منها اثنين أخذ الأقدمون مبدونهما من أقدم أزمنهم وظلوا كذلك الى آخر عهدهم، وتعني بذلك المعجل «منفيس» للقدس آله هليوبوليس والمعجل «ايبس» معبود منف. وقد روى المصريون أنب ثانيهما (المعجل ايبس) نشأ من قصبة من نور تزلت من السماء في دحم بقره، فحملته ثم وضعت ولم تحمل بعده قط. ومن مميزات هذا المعجل أنه أسود اللون مشوب بنقط بيضاء، وعلى جبهته مثلث أبيض، وفي جانبه الأيمن هلال، وكان يغطي ظهره عادة برداء أحمر. وقد جد السكينة بتخيلاتهم وإيحائهم اللاهوتية لوضع رابطة بين هذا المعجل للمجل وبين «فتاح» معبود مدينة منف المحلي. فقالوا ان المعجل هو ابن فتاح، أو كما كانوا يسمون عنه بلقبهم الدينية أنه مكرر حي من الإله فتاح. على أني في كل ما تقدم قد آثرت البحث في الظواهر الفردية في الديانة المصرية القديمة، ويثبت أن تلك الديانة كانت قائمة في الأصل على وجود معبود لكل جهة هو الساهر على حمايتها. بيد أنه كان عند المصريين بعض عقائد دينية مشتركة بين جميع الشعب، فهي إرث القوم العنلي يشتركون فيها كما يشترك كل مصري في اللغة التي كانوا يخاطبون بها. فمن ذلك أنه بالرغم من كل الخلافات السياسية، كان الشعب المصري على بكرة أبيه يتقد وجود كائنات فوق البشر تتجلى في قوى

المجل
منس

الطبيعة . ومن بين هذه الآلهة «حوريس» إله الشمس ، فقد كان للمصريون
أجمعون تخيلونه في صورة باشق له ريش زله يحلق به في السماء ، فيفيض من نوره
على العالم . غير أن هذا المعبود السماوي كان له في بعض الجهات علاقات
ورو بط خاصة تربطه بحياة أهلها . فكان في هذه الأحوال يمزى إليه حجارة
طائفة صغيرة من الناس ، أو ببساطة أخرى كان يعتبر الآله المحلى لتلك الجهة .
ومن هنا أصبح حوريس الذي كان في الأصل يسكن الأفق غريب ، إله
المحلى لمن متوعة . وكذلك « سبك » إله الماء ، فقد كان في بادئ
الأمر مروجاً في طول البلاد وعرضها بأنه شيطان يقطن الماء ويظهر للناس
في ثوب تمساح ، ولكن على مر الأيام اكتسب احتراماً خاصاً في بعض
الجهات ، فأصبح الإله المحلى في المدن التي تتوقف سعادتها وشقتها على الماء
كأقليم الفيوم وبحر الجبلين «أمتين» في الوجه القبلي ومدينة «خنو» الواقعة
على مقربة من دوايات السلسلة الحالية . وبهذه الكيفية أصبحت قوى
الطبيعة المختلفة آلهة محلية في كثير من الأحوال ، وصار لها احترام خاص
ومما سبق يتضح كيف أن الإله الواحد كان يعبد في جملة مدن مختلفة،
غير أن هذه الحقيقة يمكن أن تملل كذلك بالمجرة التي حدثت في المصنوع
القديمة جداً . ولهم ذلك تخيل أن سكان بيثة خاصة هجروا منازلهم وأنحدوا
لهم موطناً آخر في إقليم جديد . فن المحقق أنهم يحملون معهم إلههم المحلى ،
ويشيرون له معبداً في ماوأم الجديد . يضاف إلى ذلك أن سكان بيثة خاصة
أو يثبات كانوا يلاحظون أن الماء ممتاً يحصى ذملاً إقليمه ، ويدافع عنه بيد
من حديد ، ويفلق عليه من نهمائه ، ويأتي بالمعجزات ولو للمعجزات ، فيعتقدون
لخصائص على حج هذا المعبود العظيم ، ويقومون له معبداً جديداً في بلدتهم ،

الإله
حوريس
في صورة
باشق

الإله سبك

أسباب عبادة
الإله الواحد
في جهات
مختلفة

وينصبون تماثله فيه ، ويقدمون له القرابين ، ليفيض كذلك عليهم من نعمائه وخيراته العظيمة . وبهذه الطريقة أصبحت بعض الآلهة تسكن مدناً لم تكن موطنها من قبل ، فاستحوذ لها على مكان بجانب الله الاقليم المحلي ، وبذلك يصير لها أتباع جدد يسدون ، وقد تصبح أحياناً حماة وحراساً لوطنها الجديد كذلك إذا عاش سكان اقليم من الأقاليم مع جيرانهم في سلام وأمان تدور بينهم علاقات الود والمصافة ، فإن كلا من المحلي الأقليميين تكون له ميزة واحترام عند جيرانه من أهل الاقليم الآخر . وكانت لآلهة كبنى الانسان يترلورون في أيام خاصة ، بل أنه كان يوجد بمعبد للمدينة مقصورة خاصة للمعبودات الأجنبية تميدفيها على حسب طقوسها ورسومها الخاصة . ومن ذلك يتضح أن معبود الجهة ، وأن كان صاحب المكانة الأولى في نفوس أهل اقليمه ، لم يكن للمعبود الوحيد الذي يقدم في صفته . بل كانت الآلهة الأخرى توضع بجانبه (بصفة ضيفان له) لتميد ، وتقدم لها القرابين ، ويضرب اليها الأهلالي

وكذلك كانت تنتشر عبادة بعض الآلهة باتضمام بعض الأقاليم الصغيرة الى بعض لتأليف وحدة كبيرة ، فإن آلهة تلك الأقاليم تصبح بطبيعة الحال محوالتعبد في المجتمع الجديد الذي يتألف من هذه الوحدات المختلفة . وقد عمد السكينة من أول الأمر الى إيجاد نظام لترتيب للمعبودات المختلفة التي كانت تستوطن أي مدينة بهذه الطريقة ، ووضع كل منها في المرتبة التي تليق به . ولأسباب لا تزال سرّاً غامضاً لدينا جعلوا هذه الآلهة ثنائيات كل فئة تتكون من ثلوث أو (ثلاثة آلهة) . وقد كانت الطريقة المتبعة عادة في هذا التقسيم أن بين الاله الأكبر ، ثم تضاف اليه الهة زوجة له ، ويكون

الثلوث عند
تسماء
المريين

لهذين ثالث هو ولد هما . ففي طيبة مثلاً كان عظيم الآلهة للمعبود آمون ومنه زوجته الالهة «موت» وابنهما الله القمر «خنس» ، وكذلك كان تظليث منف يتألف من « قناح » الاله الأعظم وزوجته «سخت» ، وابنها «شُرْتَم» . وفي جهات قاصية أخرى كالفتين (اصوان) كان للمعبود « ختم » الله التشلال زوجان بدلاً من زوجة وابن ، وهما « سات » و « عنت »

وبما لا شك فيه أن رواج عقيدة ما عن الله خاص من الالهة المحلية كانت تكسب هذا للمعبود في كثير من الأحوال شهرة دينية أكثر من غيره .

غير أن السبب الأعظم في تلك الشهرة كان يرجع الى ما للمدينة أو الجهة شهر المعبود
من المنزلة السياسية . فإذا حدث مثلاً أن مدينة صغيرة أصبحت صاحبة موقوفة على
السلطان على إقليم شاسع ، فإن الله تلك المدينة يمتد نفوذه حتى يصير الله
ذلك الاقليم وحاميه ، فيبعد في منابذه مع الآلهة المحلية

ولما تأسست مملكتان عظيمتان في الوجه القبلي والبحري ، صار الاله المحلي للمدينة التي وفد منها الملك واتخذها مقراً للملك مفضلاً على سائر الآلهة؛ ثم رفع الى مرتبة عليا فصار الله الملكة كلها وحاميا . فاصبح «حوريس» معبود «بهنت» الله الوجه البحري ، و«ست» معبود «امبس» الله الوجه القبلي وكان الملوك يتبنون خلفاء هذه للمبوبات في الأرض متقمصين

الملك
خليفة الاله
في الارض

أرواحهم . لذلك كان الملك يدعى بالاختصار حوريس أو ست ولما قامت الحرب بين القبطين ، الوجه القبلي والبحري ، وظلت مستمرة سنين عدة ، كان القوم يعتقدون أن «حوريس» و«ست» لشركا في الشجار ، وانجالت المركة بانتصار «حوريس» على «ست» ، وهكذا كان مصير الشجب موقوفاً على مصير الآلهة

وقد اتحدت آثار تلك الحروب الأولى من أذهان القوم في المصور
 المتأخرة ؛ غير أن الناس كانوا لا يزولون بذكر كون التنضال الذي قام بين
 «حوريس» و«ست» ؛ بل أن الكهنة أخفوا يثبون في هذه الخرافة معنى
 عميقا . فقالوا أن «حوريس» إله الشمس الساطع أوردى نار حرب مستمرة
 على «ست» إله الظلام الخالك ، فكان حوريس يُهزم كل غروب ولكنه
 يشرق في الصباح ثانية في شكل جديد ويتأزل عدوه كرهة أخرى . ولما
 اتحدت مصر وصارت دولة واحدة تحت حكم ملك واحد لأول مرة في التاريخ ،
 كان فرعون يستبر للمثل للألهين في الأرض ؛ أي أنه هو «حوريس» و«ست»
 في شخص واحد ؛ أو بعبارة أخرى (اذ هزم للنصف الشمالي من المملكة
 النصف الجنوبي) هو «حوريس» الواقف فوق إله «أمنيس» أي الصعيد . وقد
 مثل الدور بينه فيما بعد حينما استمرت نار الحرب للمرة الثانية بين المصريين
 فاشتبك في النزاع المتأمدية «بوتو» حاضرة الشمال ومدينة «الكاب» حاضرة
 الجنوب . فكانت آلهة «بوتو» تظهر في ثوب حية ، وتعيد في كل الدلتا ؛
 ومعبودة الكاب تظهر في شكل رخمة وتعيد في جميع الوجه القبلي . ولما اتحد
 القطران للمرة الثانية أصبحت هاتان الالهتان هما الحارستين الخاصتين
 لفرعون مصر ، وبقيتا كذلك الى ما شاء الله . ومن ذلك يظهر أن حروبا
 من تاريخ مصر السيلبي قد ترك له منذ أقدم المصور أثرًا يابًا في معتقدات
 القوم الدينية

الصال بين
 حوريس
 وست

المتابوتو
 تحت

وقد لعب الإله «أوزيريس» دورا خاصا بين الآلهة المصرية المحلية لم توفق
 البحوث العلمية بعد إلى تفسيره . كان أوزيريس هذا في بادئ الأمر يقطن الدلتا ،
 ويحتمل أنه كان في بلدة بوصير ، ومن ثم انتشرت عبادته في طول البلاد

وعرضها ومن أهم المدن التي كان يبعد فيها العربة للمدفونة (على مقربة من البلينة) ؛ وهنا أقيم له قبر في المصور للتأخرة بين قبور الملوك الأقدمين . وقد توارثت عن هذا الإله اسطورة من أحب الأساطير التي تروى عن الألهة المصرية ؛ والاشارة إليها متعددة في أقدم للتون المصرية التي بين أيدينا ، ونرى بذلك متون الاهرام

وبما يؤسف له أنه لم تصل النيامن الأقدمين قصة متصلة عن هذه الخرافة ، ولذلك تراءنا مضطرين الى قصها كما وصلت النيامن المصور للتأخرة بشكلها المحرف نقلاً عن بوثاوخ :

يقال أنه كان لالهة السماء « ربه » (وهي عند المصريين نوت) واهل الأرض كرونس (وهو عند المصريين جب) أربعة أولاد وهم الألمان أزدريس وست (والأخير عند اليونان تيفون) والألمان أزدريس وفتيس . وقد تبرع أزدريس على عرش مصر ، وأسمد أهلها ، فنزل عليه القوانين العادلة ، وعلمهم احترام الإلهة ، وفنر بينهم فن الزراعة ، ثم طاف في أنحاء البلاد رسولاً للمدينة غير محول في ذلك على القوة ، بل على جذب قلوب القوم اليه بالإغراء والتعليم تارة ، وبكل أنواع التناء وللوسيقى تارة أخرى . فلكل كان يستعد اليونان الأقدمون أنه دايونيوس

ولما عاد من طوافه تأمر عليه أخوه ست ومعه ٧٧ شخصاً آخرون . وقد حصل سرّاً على مقياس جسم أزدريس ، وصنع حسب هذا المقياس صندوقاً جميلاً على بأبهي أنواع الزينة ، وأحضره معه في وليمة أعدّها لأخيه . وفي أثناء الوليمة استرعى جمال هذا الصندوق أنظار المدعوين ، فوجد ست مازحاً أن يعطى هذا الصندوق لمن يتفق مقياسه معه تماماً إذا اضطرع فيه .

فجرب كل الحاضرين (وكانوا على علم بالسكينة) ، فلم يتفق الصندوق مع واحد منهم . وفي النهاية اضطلع فيه أوزير ، فأنطبق عليه تمام الانطباع . واذ ذلك أسرع المتأرون ، وسمروا الصندوق من الخارج ، وصبوا دونه رصاصاً ذائباً ، وجمدوه إلى القمر ، ودفعوا به إلى البحر عن طريق الفرع الثاني للنبيل .
ولما علمت أوزير بموت زوجها وأخيها جددت في البحث عن جثته ، وبعد جهد ونصب أخبرها بعض الصبية ، أن الصندوق التي به في النيل ، فسار مع التيار إلى البحر ، ثم وصل إلى مسامها كذلك أن الصندوق رسا على الشاطئ بالقرب من « يلمن » (في سورية) ، وهناك نمت حوله شجرة نخلة واشتملت عليه في ساقها . ولما رأى ملك تلك الناحية هذه الشجرة اجتثها من فوق الأرض وفي جوفها الصندوق ، ثم اتخذها عموداً يرفع سقف بيته ، فلما سمعت أوزير بذلك ولت وجهها شطر يلمن ، حيث اتخذتها للملكة مربية لأولادها في قصرها . وطى مر الأيام أظهرت الالهة حقيقة أمرها للملكة ، وطلبت إليها هذا العمود ، فاستلته من تحت السقف ، وانقرعت الصندوق منه ، ثم رمت بنفسها عليه ، وكان لا يزال موصداً ، وجمدته معها في سفينة ، وقد بقي مغلقاً حتى وصلت مصر ، ووجدت نفسها في مأمن لا يرقبها أحد ففتحتها ، ثم وضعت وجهها على وجه الميت وقبلته بدموع حارة . ثم ذهبت بعد ذلك لابنها حوريس الذي كان يترقب في « بوتو » ، وهناك أخفت الصندوق الذي يشتمل جثة أوزير . وبينما كان « ست » ذات ليلة يصطاد في صوة القمر عثر على الصندوق ضرف الجثة ، ومزقها أربع عشرة قطعة ، وبعثرها في الجهات القاصية . ولم يكده ذلك النبأ يصل إلى مسامع أوزير حتى أخذت تبحث عن تلك الأجزاء ، ولهذا شرعت تجوب منافع الدنيا في زورق

أوزير
تحت
جثة أوزير

ست
عروق الجثة

من البردى . وكانت كلما عثرت على شلو من أشلاء أوزيريس دفنته حيث وجدته . وهذا هو السر في تمدد قبور أوزيريس في مصر

ولما تزعج حوريس واشتد ساعده ، أخذ يتأهب بمساعدة أمه للانتقام من ست قاتل أبيه ، وقد استمرت نوار الحرب مشتتة بينهما أياماً عدة ، وأسفرت المعركة عن فوز حوريس على خصمه ست . وقد كبل ست وسيرت إلى أوزيريس ، فلم تمسه بسوء ، وأطلقت سراحه ، فأهاج ذلك خلق حوريس ، وفي ثورة غضبه مزق تاج أوزيريس من رأسها ، غير أن نجوت « هرميس » وضع بدلاً منه رأس بقرة . تلك هي باختصار مشتملات هذه الاسطورة كما وصلت إلينا تفلّان عن بلوطرخ للورخ اليوناني

وسأعود في مقام آخر إلى ذكر أوزيريس ، ونلجج حياته ، وأبحث فيها بأعمان ودقة

كانت آراء المصريين عن الكون كآراء غيرهم من الأمم ، وخاصة عن السماوات وأجرامها ، ذات علاقة كبيرة بمعتقداتهم الدينية ، غير أنهم ربما كانوا أقل مغالاة في ذلك عن أهل بابل الأقدمين . فكانت الصورة التي يرسمها المصريون للدلالة على الأرض بما يربح من أن الأفق الجغرافي عدم كان محدوداً جداً ، فكانت مصر في نظر المصري هي العالم بأسره ، فهي في عينه سطح يضيئ مستطيل الشكل يحترقه طولاً من الشمال إلى الجنوب نهر منسج هو النيل ، وعلى حدوده جبال شاذة هي هضاب الصحراء التي تكتنف مصر ، وعلى هذه الجبال ترتكز السماوات . وكان المصري يعتقد أن هذه السماوات على شكل طبق مفرطح تدلّ منه النجوم الثوابت كأنها مصابيح معلقة . وكذلك كان يرى بعضهم أن السماوات متكئة على أربعة عمد منصوبة

أوزيريس
تدعى لحيته
نابية

حوريس
يقسم لايه
أوزيريس

شكل الأرض
عند
المصريين

شكل
السماوات

في أركان الأرض الارومة . واعتقد قوم ان السماوات فطرت على شكل
لارض تماماً : أى أنها كذلك يحترقها نهر يخرج منه ترم عفة

وكأوا يزعمون أيضاً أن تحت الأرض ملكاً سلفياً آخر (دوات) العالم السفلى

مركباً، لا يختلف في تكوينه عن الأرض أو السماوات ويسكنه الموتى . وكان
للمصريين طريقة عجيبة أخرى في تصور شكل السماء : وذلك أنهم كانوا

يتخيلونها على شكل بقرة عظيمة مثبتة في مكانها بئدة آلهة أخرى صغيرة ،
ومحمولة الى أعلى بالآله « شو » ومن بطنها تتدلى النجوم . وكأوا يعتقدون ان شكل آخر
السماء

اله الشمس يسبح نهاراً على ظهر هذه البقرة في زورق خاص له

ومن معتقداتهم ان العالم ، والآله ، وبنى الانسان ، لم يوجدوا من

بادئ الأمر ، بل هم مخلوقات . ولكل طائفة من الكهنة نظرية خاصة في كيفية

هذا الخلق تختلف من غيرها كما اختلفت آلوهم في شكل العالم نفسه . فكان نظريات
العلماء

اكثر الاعتقادات انتشاراً أن الآله المحلي اى مبود للدينه هو أيضاً بادي

السماوات والأرض . فأهل مدينة منف مثلاً اعتقدوا ان مبودم المحلي الآله

« فتاح » ، ذلك للمصور العظيم ، تحت الأرض كما تحت النماثيل . وكذلك

في جهة القية حيث عبد الآله « خنم » حارس تلك الجهة وحاميها ، كان

يعتقد الناس انه هو خالق العالم : قبض قبضة من غرين النيل وسوى منها

العالم كما يصنع الخزاف الفخار بآلة . وفي مدينة سايس (صا الحجر) كان

القوم يعتقدون أن « نيت » الهة هذه الجهة فطرت العالم كما ينسج

الناسج قطعة من القماش . على أن هذه الاعتقادات المحلية في تكوين العالم

لا ينبغي ان تفهمها بشكها الحرفي ، أذ كان بلامراء للخيال للشمرى أثر كبير

جداً في كثير منها

أما أعظم هذه الاعتقادات انتشاراً فيحتل أنه أتى من ناحية طاغية كهنة عين شمس . وذلك أنه في بادئ الأمر كان يوجد جسم عظيم من الماء يدعى « ن » ، يشتمل على جراثيم الحياة من ذكر وأنثى ، ومن هذا الماء فطرت الشمس أي « رع » كما يسميها المصريون . وكان هذا الماء يشتمل كذلك اله الأرض « جب » ، والهة السماء « نوت » متعاقبين . وقد بقيتا كذلك حتى فصل بينهما « شو » اله الهواء ، فحمل الهة السماء على ذراعيه إلى الطبقات العلوية

نظرية
كهنة عين
شمس
في خلق
العالم

ومن آلهة المصريين كذلك الثيل الذي يهب مضر الحياة ويحفظ كل بني البشر بما يمنحهم من الطعام والنفاء . وكان يمثل مندم في شكل ذكر وأنثى في آن واحد فله من الأنثى ثدياها ومن الذكر لحية طويلة تكتنف وجهه . أما لباسه فكان كلباس البحار للمصري

على أن المصريين كانوا قبل كل شيء يعتقدون في الوهية الاجرام السماوية . ولا غرو ، أظم يكن من الطبيعي أن الفلاح المصري إذا التي ينظره في ليلة قراء صافية الأديم إلى السماء للزينة بالنجوم الزاهية مال إلى الاعتقاد بأن هذا العالم العلوي تسكنه آلهة أيضاً ؛ فلا عجب إذن أن يرى في الجوزاء أجل الأبراج المصرية المأله ؛ وفي نجم الثعري الثمانية الهة تسمى « صوبد » ، بل لا عجب أن كان يعتبر الشمس معبوداً يسيطر على الكون . وقد تنوعت النظريات الخاصة بالشمس (اعظم الاجرام السماوية ضوئاً) عند طوائف الكهنة المتعددة في البلاد . وقد ذكرت آتقاً ما اعتقد أنه الفكرة السائدة عند المصريين عن الشمس : وهي القاطلة بأنها متمر (هو الاله حورس) يخلق في السماء برشو الساطع . وهناك آراء أخرى ؛ ففريق رأى أن اله الشمس

الاجرام
السماوية
الهة

اعطيا
الشمس

كان يسبح أثناء التهلل على سطح ماء السماء كالبحار للمصرى ثم يتزل حتماً عند
الغروب الى العالم السفلى ويستمر هناك في سياحته (يظهر في اليوم الثاني
في خلق جديد) . وفريق آخر كانوا يمثلون اله الشمس في شكل جعران ،
وهو تمثيل يبدو لأول وهلة مضحكاً ، ولكن لا تلبث أن تزول غرابته . فكما
ان الجعران يرى عادة في النهار وهو يدحرج امامه كرة صغيرة نخوى على
بويضاته ، كذلك يرى اله الشمس في خلال التهلل وهو يدحرج امامه في
السماء كرة الشمس ، ومع ذلك فان طائفة أخرى كانوا يستقدون أن في كل
مباح قبت من وسط الماء زهرة زيتون تستل على طفل صغير هو اله الشمس
بالسك في قروها

أشكال
اله الشمس
المتعددة

وقصارى القول ان الصورة التي نرى في أن أرسها امامكم اليوم عن
اقدم شكل الديانة المصرية القديمة على قدر ما وصلت اليه معلوماتنا هي
بلا شك صورة مركبة من عناصر متنوعة جداً : فن جهة رأينا فيها المعبودات
المحلية ، ومن جهة أخرى رأينا للمعبودات السماوية التي تبعد عن الانسان بمداً
سحيقاً لا نهاية له . وسيكون موضع بحثي التالي الطريقة التي بها مزج
علماء اللاهوت بتخيالاتهم الدينية هذين العنصرين وكيف ان هذا الامتزاج
اتبع حياة تكاد تكون جديدة



المحاضرة الثانية نمو الديانة المصرية وارتقاؤها

من الحقائق للألوف ذكرها عن قدماء المصريين أنهم كانوا أمة محافظة
بدرجة عظيمة ، ولا ريب في صحة ذلك ، فقد تمسك المصريون أيا تمسك
بالمعادن والأخلاق التي توارثوها عن أجدادهم الأولين . يدانة لا يستتج
من ذلك ان الدنية للمصرية كانت عقيدة قاحلة ، وانها بقيت راكمة آسنة
مدة آلاف من السنين ، لم تخط الى الأمام ، ولم يدخل عليها أى تنير منذ
انبثاق فجر التاريخ . بل الواقع لنا شاهد في لغة المصريين وفي كتاباتهم
وأدابهم وفي حياتهم السياسية وفنونهم وصناعاتهم قدما محسوسا مستمرا . حقا
ان ذلك لا يمكن أن يستدعى نظر القارئ غير الجاهل فانه يرى في قرأته على جملة
حقائق غريبة جديدة ، ولا يكون تأثيرها الأول فيه الا انها كلها متشابهة .
أما الباحث للدق فانه لا يلبث أن يرى تدريجا أن المصريين كسائر أمم العالم
تنمو حياتهم العقلية والنفسية ، وتنشى مع الزمن ؛ ولها في حركة دائمة
لا تركد قط

ولم تشذ من ذلك الا حالة واحدة بقيت فيها روح المحافظة سائدة على
مر الأيام . وذلك ان القوانين التي تخربت للقوم في عهد فطرتهم بقيت سائدة
في البلاد لمدة آلاف من السنين ؛ ومن ثم نسجت مدينة القوم في عروها على
منوال يكاد يكون نفس للنوال التي نسج عليه للمصريون الأول في عهد
فطرتهم . ومثل ذلك جليا كتابة القوم وفنونهم الجميلة ومستقدمهم الدينية .

وبما لأمرأه فيه ان بعض الآراء الجديدة قد التحت فيما بعد بالأصل القديم بوجه عام . غير ان الحياة المصرية ، التي كانت منذ نشأتها نتيجة لعلاقات سياسية خاصة لم يطرأ عليها أى تغيير جوهري ، اللهم الا فى عادة واحدة دونها التاريخ لنا وكانت عاقبتها الفصل الثام

الملاحظة
على الدانة

يفكر القارىء انه تألف من الإمارات الصغيرة التي كانت تتكون منها البلاد المصرية فى عهد فطرتها مملكتان ، الوجه البحرى والوجه القبلى . ولم تصر البلاد وحدة سياسية الا بعد أن أخضعت الأولى الثانية ، وأصبحت حاضرة مصر للتحدة اذ ذلك مدينة هليوبوليس (أون) . وهذا الاسم معروف لقراء التوراة ؛ لأن زوجة سيدنا يوسف عليه السلام كانت بنت يوتوفيرم رئيس كهنة بلدة (أون) الواقعة على مسافة بضعة أميال من الشمال الشرقى من مدينة القاهرة الحالية . وكان « أتم » محبوبها المحلى ذا علاقة باله الشمس . والظاهر انه كان فى اعتقاد القوم هو الشمس المضيئة نفسها ، أى « رع » الذى كانت تتعبد به الناس . وكان يعتبر الاله « الذى يسكن فى بيضته (أى الشمس) ويضئ على الكون أشعته من مسكنه السماوى » وهو الذى « يشرق فى أفقه ويسبح فى نحاسه الأصفر (أى صحيفة السماء) ، والذى لا مثيل له بين طائفة الالهة ، والذى يضىء العالم بنوره الساطع »

أتم مسود
معب شمس

وكان يقيم الأهليون له داخل للمبد عموداً من الحجر يصلون عنده ليحصل العبادة الى الاله الأعظم . ويحتمل ان هذا العمود كان يقام فى الساحة المكشوفة من المبد . وعلى مر الأيام أخذ هذا العمود شكلاً منتظماً متناسباً وعرف بعد المدة وهى عمود مستدق ، قته على شكل هرم صغير

أصل
السلة

وفى حين كان سائر الالهة السماوية المعظام ماضية كل فى طريقه بمنزل

عن الناس أخذ الله للشمس معبود هليوبوليس المحلي ينشئ له الروابط بين
الإنسان، وصار يُعبد بوجه خاص، وكان في نظر القوم أعظم الالهة وأشدها
قوة. على أن كهنة هليوبوليس لم يكنوا بإعلان هذه للتابع بل أخذوا
يبدلون جهدهم في استنباط ما يترتب عليها. وبهذه الطريقة أمكنهم الوصول
الى فكرة عميقة من كنه الاله. فاهتدوا أولاً الى أن الله الشمس الله واحد
نقط هو «رع»، وإن الله للشمس القديم اى حوريس الذي كان يخلق في
السماء على هيئة باسق هو في الحقيقة رع، وإن الفرق بين الاثنين في الاسم
فقط. لذلك أطلق الكهنة على حوريس اسم «رع حوريس» الذي يستوى
على الأفق». وظهر هذا التركيب أيضاً في صورة هذا المعبود، فرى فيها
حوريس وله رأس صقر يحمل عليها قرص الشمس

العثان كهنة
مصر
في أسس الاله
«رع»

كذلك قيل ان «آتم» للمبود المحلي للقديم امدية هليوبوليس
هو الاله الشمس «رع حوريس»، واعتبر أيضاً في جوهره نفس الاله رع
لا فرق بينهما الا في الرسم. يضاف الى ذلك «خبررع» الاله للشمس
القديم الذي كان يصور في شكل جمل، فانه مثل آخر لهذا التطور. والحقيقة
ان كل هذه الالهة كانت تعتبر مظاهر خاصة لمبود واحد، أو بعبارة أخرى
أسماء لاله أحد فرد صمد

أسماء
الختلفة

وهذا المرأى يتفق تمام الاتفاق مع الوظائف الخاصة التي كانت تسبب
لسكل الاله من آلهة للشمس هذه. فمثلاً كان «رع حوريس» أو «خبررع»
يعتبر انه للشمس وقت الغروب و «آتم» للشمس وقت الشروق. فإن
الأهلين كانوا يعتقدون ان الشمس تحترق السموات في تلك فتقضي سياحتها
في أول النهار في المركب «منرت» الجلية، وتقضي رحلة المساء في الزورق
(٥)

أسماء
سياحة
اليومية

« مسخت » التي كان يسبح بها وراء الأفق الغربي الى جبال « منو » الخرافية . ومنذ ذلك العهد تحولت الخرافات العدة التي نسجها خيال الجاهلات المختلفة عن حركة الشمس اليومية الى الاله الأحد « الله الشمس » معبود هليوبوليس ؛ ومن ثم نشأت متناقضات بعضها من القرابة بمكان . ولم يبدل علماء اللاهوت أى مجهود في التوفيق بينها . وبما لا شك فيه ان عدد الخرافات التي تمزى الى الشمس كان وثيراً جداً ، لذا الاشارة اليها لا يكاد يخلو منها متن ديني ، غير أنه للأسف لم يصل اليها الا جزء ضئيل جداً

وستفصل القول في احدى تلك الخرافات التي تمزى الى الشمس حتى يتصور القارئ صورة واضحة عن امثال هذه الخرافات المصرية القديمة وماهيتها وكان « رع » اله الشمس يمثل في هذه الخرافة في شكل ملك له السيطرة التامة على الآلهة وبني البشر جميعاً . وكان تأمره الأرض يرجع على أريكة ملكه وشاى وماله ويشاطر بني الانسان في أفراحهم وأتراحهم . بيد أنه حُرِم بنوع خاص قوة الشباب الأبدية ، فكان يطعن في السن بمرور الأيام ، وأخذ الناس يصمون أمره لشيخوخته كما يضل المصريون اذا سلط عليهم ملك اشتمل منه الرأس شيئاً . هذه كانت مكانة الاله رع في بداية الخرافة التي سنقصها قلاً عن الآثار :-

أسطورة
من اله
الشمس

كان جلالة (الاله) طاعنا في السن : عظامه من فضة ولحمه من ذهب وشعره من اللازورد الخالص . ولكن الناس تأمروا عليه ففطن جلالة لأغراض الخلق ، وقال مخاطباً أتباعه : آتوني عني (أى العبادة حاتحور) والمعبود « شو » والمعبود « قحت » وكل الآباء والأهات المقدسة اللذين كانوا يصحبني حينما كنت لا ازال في المحيط الأزلى « ن » ، وآتوني أيضاً

بالاله « ن » ذاته وسمه كل خدمه . وليكن حضورهم الى هنا خفية حتى لا يرم بنو الانسان . تمالوا معهم الى القصر لكي تأخذ بصيحتهم ؛ وتلبية لأمره ذهبت هذه الآلهة الى حضرة وجثوا أمامه حتى لظمت جباههم الأرض ثم قالوا لجلالته . نكلم حتى نسمع . فقال « رع » مخاطباً « ن » : أنت يا أكبر الآلهة سنأيا من منحتي الوجود ، وأتم يا أجدادى للمقسين ، لقد رأيتم كيف ان هؤلاء الخلق الذين نبتوا من عيني قد ناروا على . فالآن أريد أن أستشهد برأيكم في أمرم لأنى لا أود أن أذبحهم حتى اسمع نصيحتكم في هذا الأمر

فأجابه جلالة الاله « ن » : يا بني رع ، أنت أيها الاله الذى خلق أباه عظمة وفانت قدرته قدرة من خلقوه ، ابق (هادئ البال) على عرشك ، فان الخوف منك عظيم لو أنت أقيمت مجرد نظرة نحو من تأمروا عليك . فقال جلالة رع : انظر كيف يولون الأدبار فى الصحراء وقلوبهم وجلة بما قالوه . ثم قالوا (الالهة) لجلالته : دع منك (اى الآلهة حانحور) تنزل الى الأرض حتى تقتل هؤلاء الذين افتروا انما منك (وهكذا قضى الأمر)

ثم عادت الالهة حانحور بعد أن ذبحت خلقاً كثيراً فى الصحراء ، وعندئذ قال جلالة هذا الاله (رع) : مرحباً يا حانحور ، هل قت بأداء ما أمرت به ؟ فأجابه حانحور : أقسم بحياتك لقد انتصرت على جميع الخلق فاشرح صدرى بذلك

يبدأ أن سفك الدماء لم يكن قد انتهى بعد ، اذ أرادت حانحور فى اليوم التالى ان تستمر فى عملها . ولكن عوامل الشفقة حركت رع نحو العباد ، فأخذ يذكركم فى كيفية إيقاف هذه المذبحة . فأرسل على جناح النعام رسلاً الى

مدينة القيلة في طلب نوع خاص من الفاكهة من هذه الجهة . ولما جرى بها أمر أن تعصر في هليوبوليس ، فصنع الجوارى من عصيرها جعة ملأت سبعة آلاف إبريق . وكان لون هذه الجعة في الظاهر يشبه دم الانسان . وقد أعد هذا الشراب للمسكر ليكون منه خلاص بجى الانسان . وفى باكورة النهار أمرع باحضار هذه الأباريق الى المكان الذى كانت ترغب حانخور ان تذيب فيه الخلق ، وهناك أقرقت تلك الجعة فنشرت الحقول بهذا السائل الأحمر . ولما حضرت حانخور في الصباح وجدت بحيرة من الجعة ينعكس فيها عياها بصورة جميلة ؛ فشربت منها وطادت الى بيتها غلة غير قادرة على تمييز بجى الانسان (من غيرهم) ، وبذلك سلم العباد من غضب حانخور بحيلة من اله الشمس . على أن رجع رغم ذلك سئم الإقامة بينهم فصعد الى السماء ثانية على ظهر البقرة السماوية وأورث الأرض بعمد للمبود « نحت » (اله الحكمة)

ولم يكف كعنة « اون » (هليوبوليس) بالتفنن فى أساطير اله الشمس ، بل صقلوا كذلك قصة الاله أوزيرس ووضعوها فى شكلها النهائي هى ونارخ التضال التى قام بين المبودين المحليين حوريس وست ؛ وقد فصصت ذلك عليكم فى الفصل السابق قلاً عن بلوتارخ وليس يبعد أن يكون ادخل حوريس فى قصة أوزيرس من صنع هؤلاء الكهنة وقتنهم ؛ اذ صار حوريس فى هذه القصة ابناً لأوزيرس ، أما ست عدو مصر السفلى فأصبح أخاً لأوزيرس وعدواً منافساً له

وقد تسرب بطبيعة الحال عند وغير من الالتفات الى أساطير المصريين وغرافتهم بسبب اتساع دائرة الصفات التى عزيت الى كل اله ، والتحلال بعض

المتناقضات
فى الأساطير
المصرية

أركان الأفاقيص القديمة . ومن التريب أن كهنة عين شمس كما أسلفنا لم ينظروا إلى هذه الأمور كأنها متناقضات ، بل كانوا يرون فيها حكمة بيضاء المنزى ، وعلى هذا الزعم أخذوا يحلون بهلوة لا مثيل لها تلك الاشكالات التي أوجدوها ، وكان غرضهم الأسمى أن يحققوا أسماء الآلهة المعظام ويتكروا تفسيراً علمياً لأسمائهم وللقابهم المختلفة

ولا يكاد يوجد متن ديني الآ ولكهنة «كون» أثر فيه . ولا نكون مغالين (بل أننا على العكس نصيب كبد الحقيقة) إذا قررنا أن الجزء الأوفر من أديبات القوم الدينية أنشئت أو على الأقل نشرت في هذه المدينة . وقد بقي نشاط هؤلاء الكهنة الأدبي إلى إبان العهد اليوناني ، وانتشرت شهرتهم وذاع صيتهم في بلاد اليونان نفسها . حتى إلى عهد هيرودوت كان لكهنة عين شمس الشهرة بأنهم أعلم كهنة مصر . وكان طلاب العلم والحكمة أمثال يودوكس وإدلاطون يهجون « مدينة الشمس » ليسمعوا فيها جوامع الكلم في الحكمة في كليتها الدينية

وقد صلب نحو الأساطير الدينية في مدينة عين شمس « هليوبوليس » سمي الكهنة لجمال النظرية الدينية الواحدة كقيلة بتصور هذا العالم ، فتصوروا أنه في بداية الخليفة برئ معبود هليوبوليس المسمى « أتم » (وهو نفس الإله رع حوريس) ولذلك اعتبر رأس الآلهة . ثم خلق بعده الله الأرض « جب » فالله السماء توت ، والله الهواء « شو » . وكما أنه كان لجب زوجة يحولاره كذلك وجد لشو زوجة هي الإلهة « قنت » التي فسرت بعدد بالهة « الندى » ثم تناسلت هذه الإلهة فولد « جب » و « توت » الإله « أوزيريس » وأخته « أوزيريس » ، والإله ست وأخته قنتيس ، من ذلك تكون تاسوع الإلهة

أثر كهنة
(أون)
في ديانة
المصريين
وطرهم

أصل الاسم
في نظر
كهنة
(أون)

الذي يمثل فيه أصل خلق العالم ، وتاريخ مصر في عهد القطرة . وتعرف هذه الآلهة الخمسة في علم اللاهوت المصري بتاسوع « آون » (عين شمس)

التاسوع
الأكبر

وقد تألف بعد تاسوع ثان (ويسمى التاسوع الاصغر) على نسق الأول ،

ودخل في زمرته آلهة مختلفة من المعبودات المحلية ، ووضع على رأس هذا

التاسوع شكل خاص من الإله حوريس يسمى « حرسيس » أي حوريس

ابن أوزير . وحوريس هذا هو بطل قصة أوزيرس . وفي منافع الدلتا الموحشة

وربه هناك أمه أوزيرس ، واعتبر في هذه الحالة الجديدة لها من آلهة الشمس ،

أما الثمانية الآلهة الآخرون للتميمون حلقة التاسوع فكانوا الحاميين له من

التاسوع
الاصغر
أو الثاني

شر أعدائه . ولا نعلم أسماءهم باليقين من المصادر التي بين أيدينا

فن بين هذه الآلهة كما روى العالم « مسبرو » الآلهة حوريس معبود

ادفو . وقد طعن بحريته بحول البحر والأفاقي التي تنمرض في المياه السماوية وتكدر

صفو له الشمس أثناء سياحته في سفينة : ثم « تحوت » إله الحكمة الذي يقود

السفينة في سياحتها بأغانيه السحرية ، ثم « وتوات » معبود أسيرط المحلى الذي

كان يحرك سكان السفينة وعند الحاجة يجرها بالامراس في الماء الضحضاح

وكان لهذين التاسوعين ثالث مكمل لهما ، وتألف من أولاد حوريس

الاربعة ، وأولاد « خنتي خاني » معبود أوزيرس (بنها)

ويطلق على الكائنات التي يتألف منها التاسوع الثالث في المتون

الدينية « ملائكة » مادة وأحياناً تعتبر آلهة . والظاهر أنها لم تكن آلهة بالمعنى

التاسوع
الثالث

الحقيقي بل كان لها منزلة وسطى بين الالهة والبشر . أما من مدلولات

أسماء هذا التاسوع فلا نعلم شيئاً باليقين

وقد أخذ عن كهنة عين شمس بعض المأهات الدينية الأخرى مذهب

خلق العالم وتاريخ مصر القبطى للمثلين فى تاسوع « أون » وجملاوه ملائكة
لأحوال بيتهم، بأن وضعت كل جهة لها المثل موضع « أتم » مبدود « أون »،
أى على رأس التاسوع ليكون له للمكاة الأولى، ويعبد على أنه خالق
السموات والأرض. من أجل ذلك ترى لكل من فلاح مبدود منف، ومن
معدو آمون مبدود طيبة المكاة الأولى فى جهته بين الالهة الأولين. ولم يكن
بالأمر الصعب على كهنة المهاد الدينية التى تقول بمباداة الهة اتى، أن يحلو
الالهة على « أتم - وع - حوريس ». فمثلاً ترى « نيت » مبدودة
سائيس (صا الحجر) و « حاتحور » مبدودة دندره، رفعت كل منهما الى مرتبة
المعبود الأعظم

وكان هناك بطبيعة الحال مذاهب أخرى فى خلق العالم غير مذهب
هليوبوليس، غير أنه لم يحفظ من بينها مكانة فى علم اللاهوت المصرى، ولم
ينل شهرة يمكن موازنتها بتاسوع هليوبوليس الأكبر، سوى مذهب واحد
هو مذهب « هرموبوليس » (الأشمونين) إحدى مدن الصعيد التى اتخذت
نحوت اله الحكمة معبودها المثل. وكانت طائفة المعبودات التى خلق منها
العالم على حسب هذا للذهب تألف من ثمانية

وانما جعلت ثمانية على ما يظهر، لأن الاسم المصرى لمدينة هرموبوليس
« دخنو » (ومنه أتت الأشمونين الحالية) معناه ثمانية : وهذه الحادثة
البسيطة كافية وحدها للدلالة على أن هذه الالهة الثمانية التى نشأ منها العالم
لا يرجع علة وجودها الى الخرافات الشائعة، بل الى فروض رجال الدين وبستطهم.
ونجد فى هذا المذهب أيضاً أربعة آلهة وأربع الهات يُدعى خاصة
ليكن أزواجاً للآلهة. وهما اسماء الالهة : « نو » و « هيوز » و « كك »

المعاد
الامرى
تلقه معبد
عين شمس

مذهب
الاشمونين
فى خلق
العالم

و «نوتو» أما الالهات فهي «نوت» و «هيهوت» و «كيكيت» و «نوت» . وعلى رأس هذه الالهة «نحوت» (هرمس) معبود الأشمونين المحلي . وقد مثلت الآلهة في هيئة رجال لهم رموس منقاد . أما الآلهات فمثلن على شكل نساء لهم رموس ثماين . وكذلك كانت تظهر جميعها في صورة وثيسا «نحوت» فتبدو في هيئة قردة . وكثيراً ما نشاهدها على هذا الشكل تحيي بأحضانها الشمس المشرقة . بيد أنه مما يؤسف له أنها ليس لدينا معلومات مدلول هذه الأربعة الأزواج من الآلهة . وقد رأى العالم لسبوس أنها تمثل رمزاً إلى العناصر الأربعة الماء والنار والأرض والهواء . وفسر العالم بركنس «نو» و «نوت» بالملادة الأولى . و«هك» و«هكت» بالقوة الفعالة و«كك» و«كيكت» بالظلام و«نوتو» و«نوت» بأصل خلق العالم على أن كل هذه التفسيرات لا تخرج عن حد التضمين للنطوى على المرأة ، والذي لا يكاد يدل على شيء . مما كان يرى إليه كهنة هليوبوليس الأقدمون ولا يترتب من ذلك أن العقائد الدينية في الشكل الذي أوصلته إليه أبحاث كهنة عين شمس وهرموبوليس وغيرها من المراكز الدينية ، لم نصر يوماً ما من معتقدات الشعب بل كانت على العكس تحجب عن دهاء القوم بمجاب من التكم ونظر إليها كأنها أسرار مكتومة لا يصل إلى حقيقتها إلا الأخيلو . فكان الفلاح المصري لا يعرف شيئاً عن الله الشمس الأصلي الذي كانت آلهة الشمس الأخرى أسماء خاصة له ، ولم يكن يربط بالتاسوع الاكبر أو التاسوع الأصغر ، ولا بتلك الموجودات الغامضة التي تتألف منها ، بل كان همه في أداء الصلاة للشمس صباحاً ومساءً ، وتقديم ما عنده من قربان لئلا يلقى بحمي ذمارة ، كما كان يفعل أجداده من قبل

أما الكهنة فكانت المقيمة الخاصة باله الشمس تزدد رواجاً بينهم على مر الأيام . والظاهر أن هذا المذهب قد نال في الأزمنة التاريخية تشجيعاً خاصاً من ملوك الأسرة الخامسة . وأصل ملوك هذه الأسرة (لذا أخذنا بها

جاء في أحد كتب القصص القديمة) من سلالة أحد كهنة اله الشمس .
وكان يقطن مدينة « سخبو » بالوجه للبحر على مقربة من عين شمس . وتقول
القصة أن اله للشمس نفسه كان ولده الثلاثة للملك الأول من هذه الأسرة ،
وأن الآلهة مدوا لهم المساعدة وقت ولادتهم ، وأهدوهم ثياباً للذك . وقد عكف
هؤلاء الملوك على خدمة الاله « رع » بحماسة شديدة ، فشيّدوا له في متابر
منف معابد خاصة على نسق معبد الشمس في هليوبوليس

وقد كان من جراء تفضيل عبادة اله للشمس واجلاله أكثر من غيره ، أن
أخذ القوم يمثلون الالهة الأخرى به ويقولون أنها هو . وقد غلوا في الأمر

حتى نسبوا ذلك الى الالهة التي لم يكن لها في الأصل علاقة ما بالشمس .
كسبّك اله للآه ، و « آمون » اله الحصاد ، وصوروا كلّاً منها بإضافة رمز
« رع » له ، وهو قرص الشمس يحيط به ثيابان فامك (الصل) . كذلك
أنثيات المبودات كانت تعتبر لمات السماء ، كل منهن تمثل في الأخرى
ويُصورن حلقات قرص الشمس فوق رؤوسهن

دخلت الديانة المصرية ، في طور جديد من أطوار نموها وتقدمها في
خلال حكم « اللولة الوسطى » ؛ وذلك حينما انتقل مركز البلاد السياسي الى
الجنوب . وعلة ذلك أنه في خلال الفتن الداخلية التي قضت على اللولة القديمة
كانت مدينة طيبة قد أصبحت ذات قوة وشهرة ؛ فكان لأمرائها الفضل في
«رجاع النظام الى نصابه ، والسير بالبلاد ثانية في طريق الرقي والتجّاح ،

وبالرغم من أن ملوك الأسرة الثانية عشرة تناولوا مقر حكمهم الى جهة الفيوم ، فان المدينة التي نشأوا فيها كانت لا تزال مطمح أنظارهم وموضع عنايتهم .
لذلك اعتبر امون معبود طيبة المحلي الله الشمس (أعظم للعبادات المصرية) وصار اسمه « امون رع » ، وأصبحت منزله فوق كل الالهة ، وأقيمت له المعابد الجديدة ، وقدمت له الهدايا النفيسة . ثم صارت طيبة فيما بعد مركزاً للمعركة التي قامت بين المصريين وغزاة المكسوس . فلما وضعت الحرب أوزارها أصبحت طيبة مرة أخرى حاضرة للدولة الحديثة ؛ وعندئذ أصبح امون رع صاحب المكانة الأولى بين جميع الالهة المصرية . فكانت فراغة مصر تهود الجيوش للظفرة الى الفرات شمالاً وتوغلون بها في السودان جنوباً تحت حماية هذا الاله . وكان الجزء الأعظم من الغنيمة التي تحملها هذه الجيوش من الأراضي للغلبة يحبس على « امون رع » اله حاضرة البلاد ؛ اذ كان هو الذي يمنح فرعون « ابنه المولود من ظهره ، ورمزه في الأرض » السيادة على العالم ، ولذلك كان له الحق هو وكهنته أن يتالوا جزاءهم الحق من هذه التماسم .
وبما سبق يتضح أن امون أصبح معبود مصر القوي في عهد الدولة الحديثة ؛ فلم يكن لغيره من الالهة المصرية مكانة عظيمة في الديانة الرسمية اللهم الا « رع حوريس » اله مدينة عين شمس ، وفتاح اله مدينة منف حاضرة الدولة القديمة . لذلك كانت تقام للمبايد في البلاد المقهورة للاله امون أولاً ثم لرع حوريس ثانياً ، ثم لفتاح ثالثاً . وهذه الالهة كان يعبدها أهل البلاد المقهورة على أنها الحامية للدولة المصرية .

امون رع
أعظم لالهة
المصرية

السودان
رع حوريس
وفتاح يدان
امون في
الذرة .

وفي الوقت حيث كان علماء اللاهوت الذين يزرعون الى طريقة التوبيخ بين الالهة المختلفة وادماجهم في الله واحد يبدأون على تحقيق غرضهم ، فاذا

كانت الفروق بسيطة بين أوصاف الآلهة المحلية وشكلها جرت المادة أن
تدج هذه الآلهة بعضها ببعض وتفسر بأنها مظاهر مختلفة لاله واحد. مثال
ذلك أن الآلهة «اموزع» والمظيم نشأت له مظاهر في آلهة أخرى كالآله «من»
ممود فقط للخلي، و«خنم» مبود الفنتين (اسوان)، وكذلك نشأ للمعبودة
«بستت» آلهة «بريسطة» مظاهر في الآلهة «سخت» والمعبودة
«بخت» (آلهة بجي حسن)؛ وكلها كانت تظهر في صورة لبوة أو قطرة.
على أن هاتيك الآلهات جميعها كن مظهرًا من مظاهر الآلهة «موت» أم
الآلهة وزوج «اموزع» آله طيبة

ومن الجدي أنه بهذه الطريقة ازداد الغموض والتعقيد للذهان كأنما
يموقان تهم آلهة قدماء المصريين. حقاً أنه لم يكن بالأمر العسير على عقل
أريب في تلك الأيام أن يزيل آثار الارتباك من تلك التعقيدات والأساطير
التي نشأت في عصور مختلفة وأماكن متباعدة. فإذ كان عليه الآن يتأمل في
المجتهودات التي كانت تبذل وتقتل لإدماج الآلهة المحلية المختلفة بعضها ببعض
وجعلها آلهة تمثل الشمس أو السماء، فيجد في ذلك دلالة كافية على أن القوم
انصرفوا عن عبادة الآلهة الأولى المحلية ولم يمد هناك مبرر لعبادة شيء. إلا
طائفة صغيرة من الآلهة، أو عبادة إله واحد

ولكن لعمري أين ذلك الرجل الذي كان يكن بين جوانحه للشجاعة
الكافية، لا يراز هذه النظرية الأخيرة من حيز الفكر إلى حيز العمل، فيضرب
بالمجتهودات القديمة عرض الحائط ويحل محلها إلهًا واحدًا جديدًا؟ أليس من
الطبعي إذا قام هذا المصلح بمثل ذلك الانقلاب أن يقوم في وجهه كهنة
المعابد الدينية في جميع البلاد من أقصاها إلى أقصاها يحارون هذا التفسير

طريقة
التوفيق
بين الآلهة
بإدماجها
في بعضها

ذلك يرد
الرموز
تتبدل

ومدافعين عن ميزات آلهتهم ومناقضهم الخالصة ؟ بل ماذا يكون جواب كهنة
طيبة سَدَنَةُ « امون رع » ، حينما يرون المههم يخلع أمام أعينهم من عرشه ،
وعمّ الذين كانوا يقيمون الحفلات ويولون الولائم والفخر ملء صدورهم تعجيداً
لقوته وعظمته وجبروته ؟ ألا يمارضون بكل ما لديهم من حول وقوة في
ادخال إله آخر أعظم من إلههم امون ؟ ثم ماذا يكون رأى دهماء القوم
الذين شبوا على احترام آلهتهم القديمة ولم يشغلوا عقولهم بالمذهب الدينية ؟
وكيف يسوغون لأنفسهم أن يقتلوا بأن سلطة آلهتهم الأقدمين أصححت
في خبر كان ؟ وان إلهاً جديداً حل محلها يجب عبادته ولقائه الصلوات وتقديم
القرابين له بأمر من السلطة الحاكمة ؟ على أن يوم هذه المخاطرة الجريئة لم
يكن بعيداً يوم يُقضى على الآلهة الأقدمين وتبدل عبادتهم بعبادة إله واحد
في السماء والأرض

ماد يحدث
لوقام فرد
بدنر عاده
إله واحد

وكانت عوامل الخلد، والغيرة، والبنضاء تستخدم نيرانها في نفوس كهنة
عبر شمس، إذ رأوا أن للعبود امون رع قد علت مكانته حتى أصبح إله الدولة
العام ؟ وان كهنته أصبح في أيديهم قوة كبيرة بفضل ما كان يفيض عليهم
الملك من الخيرات العظيمة بكرم حاتمى . فقد كانت كهنة « عين شمس »
يدعون ان إله الشمس « رع حوريس » هو المسيطر على العالم أجمع في حين
أن امون ليس بأعظم شأنًا من « فتاح » إله منف المحلى ، أو سبك ممبود
القديم، وأنه اذا قرن بع رع حوريس يكون مثله كأمير القطيعة والملك بيد
أن امون أظهر من آيات الجليل والانعام على فرعون ما جعله لا يأبه بأقوال
اتباع « رع حوريس » التي كانت تتم عن الغيرة وترى الى جمل إلههم
صاحب المكانة الأولى في الدولة المصرية . على أنه بمرور الزمان سنحت

الخاصة بين
كهنة عين
شمس وبين
كهنة امون

القرص لكهنة « هليوبوليس » لنيل أمنيتهم والوصول الى مرغوبهم
 وذلك ان الملك المنتخب الثالث لما لفظ الحياة عام ١٣٩٢ ق. م خلفه
 ابنه المنتخب الرابع على اريكة مصر. والظاهر أنه تربى تربيته الأولى بين
 كهنة عين شمس وسواء كان ذلك حقيقة أم لم يكن، فقد كان هوام مع سرح العروسة
 مذهب كهنة هذه المدينة القائل بأن إله الشمس أعظم الآلهة، وأنه ^{لكهنة} عين شمس
 لذلك أحق بأن تسود عبادته في جميع العالم، وأن شهدي إليه أحسن خيرات ^{يقول} المستعبدين
 الدنيا وأمتها

وقد أفلح كهنة عين شمس في استئالة الملك الى جانبهم ووجدوا فيه
 المضد الأكبر لاثبات دعواهم وتحقيق غايتهم. وفي هذه الآونة تمت عقيدة
 سرية خاصة بين علماء اللاهوت في عين شمس تقول بأن أتني شكل يظهر
 فيه إله الشمس ليس هو « رع » بل مظهره الوحيد وهو قرص الشمس. ^{متيدة}
 ووصعوا لهذا المظهر اسماً خافياً وهو « رع حوريس » الذي يصبح من الفرح ^{كهنة عين} شمس السرية
 على الأفق ويتجهج باسمه « النور الذي في كرة الشمس ». على أننا لا نعلم معنى
 هذا اللقب الغريب، ولا نعرف شيئاً عن التعاليم التي كانت تلقنها أتباع هذا
 الإله. والظاهر أن المنتخب اعتنق هذا المذهب بحماس وشغف لاذ أنه لم
 يقتصر على الانضمام الى حلقة أتباعه، بل صار أيضاً رئيساً ورسلاً

ولم يكده المنتخب الرابع يجلس على عرش مصر حتى أخذ يسرى في
 نشر عبادة هذا الإله الجديد في أنحاء البلاد. فأعلن جهاراً أنه رئيس رسل
 هذا الإله العظيم، وأمر بتشيد معبد تقم له في مدينة طيبة ملاصق لمعبد ^{استعد}
 امون. وقد ظهر هذا الإله الجديد على النقوش بالبروزة التي زينت جدران ^{بشر المذهب} المدينة
 هذا المعبد على شكل المعبود القديم « رع حوريس »، أي في هيئة إنسان له

رأس باز وتوَجَّح هذا الرأس قرص الشمس يحيط به صل . وقد أقيمت في
متن وغيرها من البلدان المابيد لهذا المعبود وتعددت أسماءه فعرِفَ « برع
حوريس ، وقرص الشمس » و« آتون » (ومعناه باللغة المصرية قرص الشمس)
وقد خصص الملك لهذا الإله جهة مقدسة وقُتت عليه تعرف باسم
« اخِتاتون » أي أفق قرص الشمس . وهذا المكان يسمى الآن تل بى عمرن
(بالقرب من ملوى) نسبة الى قبيلة البدو التي استوطنت

اختاتون
المكان
القدس
المعبود الجديد

وحذا حذو الملك في اعتناق الذهب الجديد اصداؤه ووليجه ورجال
دولته وان لم يستقدوا فيه من قلوبهم . ورغم ما كان عليه المنصب من التخمس
للإله الجديد أباح في بادئ الأمر عبادة امون وغيره من المعبودات المحلية ،
بل لم يحجم من الظهور في النقوش والصور وهو يعبد امون وتحت وست
وغيرها من الآلهة . ولا غرابة اذا علمنا أنه رغم كل الجهود التي بذلها الملك
في نشر دعوته ، كانت تعامسا كهنة المابيد للديانة وبخاصة كهنة طيبة أتباع
امون ؛ غير أن هذه المقاومة لم تقف في عتد فرعون لدرجة تجعله يحجم عن
ادخال عبادة إلهه ، بل أورت بالعكس تار تعصبه لمعبوده لدرجة عظيمة ، وساقته
أخيراً لاتخاذ خطوة حاسمة

الملك سد
الآلهة الأخرى
أصاً

ففي السنة السادسة من سني حكمه جعلت عبادة آتون الدين الرسمي
للبلاد ، ومن وقتئذ طلب رسمياً الى المصريين والنوبيين والاسيويين الخاصين
للدولة المصرية أن يعبدوا هذا الإله الفرد الأحد دون سواه . وقد أمر الملك
على جدران المابيد وقد ظهر هذا الاضطهاد بشكل مرعب ، وبخاصة ضد المعبود
امون وأسرته (الآلهة موت والده القمر خنس) . فصوروا لهم امون جملة ،

مع جميع
المعبودات
وعصاة العواحد

ولم يسمح بذلك في أى مكان ، حتى أن كل فرد دخل في تركيب اسمه لمون كان لازماً عليه أن يسمى نفسه من جديد . وأول من فعل ذلك الملك نفسه ^{الملك يجر اسمه المشتمل على كلمة لمون} فإنه تبرأ من اسمه لمتحجب (لمون راض) ، وسمى نفسه من جديد باسم اخناتون ومعناه (روح ضوء الشمس)^{*}

حقاً تفلعل الملك في الاعتماد بدنه الجديد بحماسة وإخلاص لم يسبق لها مثيل ، ولقد رأى أن طيبة حاضرة ملكه لم تكن بالمكان اللائم لخدمة الإله بحمية صادقة ، إذ كان كل شيء في هذا البلد مرتبطاً بعبادة آمون عام الارتباط من قديم الزمان ؛ ولم يخط فيه للذهب الجديد خطوات ولسة رغم كل ما بدل من المجهودات في نشره . من أجل ذلك عقد فرعون الثانية على ^{نقل الحاضرة من اخناتون} هجر طيبة مستعجلاً كل وليجته ، فولى وجهه شطر تل بى عمران ليؤسس فيها حاضرة جديدة . وقد كان من قبل جالس هذا المكان على الإله « آتون » ثم دخل في السنة السادسة من حكمه بابه وعظمة حاضره الجديدة « اتق فرس الشمس » (اخناتون)

* جاء في كتاب الأستاذ « برستد » تدرج الديانة والأفكار في مصر القديمة صحتى ٣٧١ و ٣٧٢ « وقد غير الملك اسمه من أمحوب » (ومعناه آمون يرتاح أو راض) الى اخناتون ومعناه (اتون راض) . وهذه ترجمة لاسم الملك القديم بكتابة تناسب مع منهج اتون

وقد كتب في هامش الصفحة السابقة من الكتاب نفسه ما يأتى :-

أظهر مقال الأستاذ ستيق (Sethe) في مجلة « سبشرف » جزء ٤٤ صفحة ١١٦ - ١١٨ حيث تمجد البرهان على صحة الترجمة الجديدة لهذا الاسم . وبما لذلك يجب اصلاح ترجمة هذا الاسم في كتاب المؤلف (برستد) « تاريخ مصر القديم » صفحة ٣٦٤

قد تسأل أيها القارئ عن موضوع هذا الدين الجديد الرسمي ، وعن
المفيدة التي كرس للملك نفسه خدمتها بهذه الحية ، والتي بذل أقصى جهده
لنشرها في أنحاء بلاده من أقصاها الى أقصاها . فالجواب على هذا السؤال
واضح جلي في النتيجة الشهيرة التي ربما كانت من نسج فرعون نفسه ؛ اذ فيها
يُسبِّح لآتون بصفته الاله الواحد خالق كل الحياة ومنظم العالم وحافظ الكون
ومطلها :

موسوع الدين
الجديد يظهر
في نتيجة
الآلهة

« جميل نورك على أفق السماء ، أنت يا من هو الشمس الحية التي وجدت
قبل كل شيء . حينما تشرق على الأفق الشرق تملأ كل الأرض بجمالك .
أنت جميل وعظيم وساطع ومشرق على كل الأرض . أشعته تكسثف كل
العالم وكل ما هو من صنعك »

نعم يأتي بعد ذلك كيف أن الناس حينما تحنق الشمس ليلاً وتنزل تحت
الأفق الغربي ، يشام النامس ، وأن الحيوان المفترس عدو الإنسان كالسباع ،
والحشرات المؤذية كالنمل تخرج من مخابها . ولكن شتان بين ذلك وبين
الحال « حينما تكون الأرض مضيئة ، مند ما تشرق أنت على الأفق وترسل
أشعته فتندثجمل السرور العالم » ويستيقظ الناس ويقفون على أرجلهم ،
لأنك أبطلتهم فيسألون أبنائهم ويرتدون ملابسهم ويرفون أيديهم نضراً
وابتاهلاً حينما تشرق . ووقتئذ تكون كل الحيوانات آمنة مطمئنة في مراعيها
وتحضر الأشجار والأعشاب وتطير المصاير من أوكارها وأجنحتها تنثي
عليك . وترج الأغنام في مراعيها وكذلك تحي كل الحشرات والطيور حينما
تسطع بأشعته عليها ،

كذلك تبت الشمس الحياة في البحار « فتسبح الثقل فيها بحية

ورواحاً شمالاً وجنوباً ، وتسبح الأسماك امامك فى النهر ، وتحترق أشمتك
حجب البحر»

كذلك كل بى الانسان والحيوان من خلق الشمس . « فى تسوى
الجنين فى بطن أمه ، وعند ما يظهر للطفل العالم يوم ولادته تنفتح فاه ليتكلم .
وآتون أيضاً « هو الذى ينفث ربح الحياة فى القرح حينما يخرج من فشر
البيضة ما اكثر الأشياء التى يرأتها ، فأرادتلك خلقت الأرض
والانسان والحيوان وكل المخلوقات الصغيرة ، وكل ما ينشئ على وجهه ، أو
يطير بيناحيه . وكذلك خلقت أرض سوريا وبلاد اتريويا فضلاً عن أرض
مصر . أنت تضع كل شئ فى مكانه ، وأنت تسد حاجته . الناس ألسنتهم
مختلفة وألوانهم متباينة . هكذا قسمت كل العالم »

ولما كان آتون خالق الناس ، كان هو الذى يطعمهم : الأجانب منهم من
ماء السحاب ، والمصريون من النيل « النيل السماوى » . وفى الختام يسبح
للإله لأنه « أوجد فصول السنة : خلق برد الشتاء وحرارة الصيف : نت
ذرات السموات العلى لتتبر فيها وتبصر من علاك كل ما خلقت . أنت الإله
الأحد . أنت تضىء فى مظهرك على شكل قرص الشمس الحى . أنت تشرق
وترسل أشمتك : ظلمدن والقوى وقبائل البدو والأنهار وكل الأبصار تنظر
إليك حينما تشرف على الأرض

حقاً أن هذه التسيحة لمن أجل التسايح التى وصلت اليها من الأدب
المصرى ، غير أنها لا تشتمل على أفكار مبتكرة ، اذ كل ما جاء فيها يمثل
وجوده فى تسيحة للشمس من نسج أتباع المذهب القديم قبل قيام
هذا الاصلاح الدينى . على أن العقيدة العامة فى هذا الدين الجديد هى أن

أتون هو الخالق والنظم والحاكم للعالم أجمع لا مصر وحدها . فكأنه ملك العالمين . وهذه الصفة قد عبر عنها أتباعه في شكل ساذج فوضعوا اسم الاله في خاتم (خرطوش) كما توضع أسماء ملوك الدنيا وأضافوا الى ذلك بعض الألقاب مثل « كرة الشمس الحية » أو « رب كل ما تحيطه كرة الشمس » و « الذى يضئ مصر » و « رب أشعة الشمس »

ولا مشاحة في أن هذا المذهب كان يرمي الى القضاء على فكرة تعدد الالهة قضاء مبرماً والاستعاضة منها بمذهب توحيد ظاهر لا يشوبه شيء سوى أنه ملدى . ولكن للأسف كان ما يصلحه الملك باليد اليمنى يفسده يسراه ، اذ رفع نفسه الى مرتبة الالهة ، وأصبح يعبد في جهات مختلفة ، وأصبحت الكهنة لاقامة عبادته ، هذا الى أن المذهب الجديد دخل عليه تغيير في عقائده حتى بعد اعتراف الحكومة بأنه دين البلاد الرسمى . وقد ظهر ذلك جلياً في اختلاف أسماء أتون ؛ اذ أطلق عليه لقب أعرب بما سبق ذكره وهو « رع (الشمس) يعيش ، أمير الأقبين ، وهو الذى يتمتع على الأمتى باسمه . الهيب الذى ينبعث من الشمس »

المذهب الجديد
يرمى الى
التوحيد

ومن النقط الهامة التى خالف فيها المذهب الجديد التقاليد القديمة ، الشكل الظاهرى الذى كان يمثل فيه الاله . وذلك أنه في بادئ عهد الإصلاح الدينى ، أى في خلال السنين الأول من حكم امنحيب الرابع ، كان يمثل المعبود أتون كما ذكرت آنفاً على شكل للمعبود القديم رع حوريس ، ولكن لما أصبحت عبادة التوحيد هى العبادة الرسمية قضى على كل مظهر يمثل الاله على شكل انسان ، وعنى كل صورة أو تمثال يمثل الاله ، وأصبحت العبادة مقصورة على الشمس الظاهرة المضيئة ، وكانت تمثل اذ ذلك على صورة قرص

عمو التنايل
الذى تمثل
الاله

مستدير يرسل أشعة طويلة ينتهي كل منها يد قابضة على علامة الحياة مانحة
إياها الملك وأسرته بصفتهم المثلين للانسانية

والظاهر أنه لم يتم معارضة جدية لادخال هذا للذهب الجديد في
أى جهة من جهات القطر، اذ لم نسمع بقيام أى حركة ثورية تناهض الملك،
بل أن السواد الأعظم من عمال الأقاليم خضعوا صاغرين لأوامر فرعون؛
ومن أظهر منهم أى معارضة كان نصيبة للزل من منصبه بل قد يكون
حراؤه القتل

على أن أمد هذا للذهب لم يدم طويلاً؛ اذ لم تكف تولرى التراب جثة
أخناتون، بعد أن جلس على عرش مصر ثمانية عشر عاماً، حتى هبت عاصفة
على تلك النهضة الدينية التي صرف فيها هذا الملك طول حكمه، فقام أتباع
المذهب القديم وعلى رأسهم كهنة طيبة، وبذلوا جهد طاقهم في السعي وراء
إعادة الالهة الأقدمين، وفتح ما بدم ثمانية للتعب فيها واسترجاع ضياعهم
وأملأهم المعتصبة. وقد حاول صهرامنتب وخلفه على العرش (لأن ذلك

الملك الرئع لم يترك ولداً يعقبه على عرش مصر) أن يقاوم الحركة التي قامت
ضد الإصلاح، فكان نصيبه أن خلع عن عرشه سريعاً. وكان ذلك دوساً
شامياً خلفه وحيه «توت عنخ آتون»، اذ رأى بثاقب رأيه أن مذهب
آتون لا يمكن أن يبقى دين البلاد الرسمي، وأن الطريقة المثلى لحفظ عرشه
وبقاء ملكه أن يصلح ما بين العرش وبين أتباع المذهب القديم فأعاد حرية
عبادة الالهة الاقدمين، وأعلن للملا اعتناقه عبادة آمون ذلك الاله الذي
كان منذ هنية مضطهداً أيما اضطهاد

وكما أن امتحبت قد غير اسمه لأنه يشمل كلمة اموت المحرمة عنده

انتشر المذهب
الجديد

توت عنخ آتون
يفضل إلى
الرجوع إلى
المذهب القديم

كذلك غير « توت عنخ آتون » اسمه الذى كان يشمل لفظة آتون الهرمة ،
فأصبح اسمه من ذلك العهد « توت عنخ آمون » (تمثال آمون الحى) . ثم
خضع لمقتضيات الأحوال ، فهجر مقر ملكه فى تل المارنة وانتقل بوليجه لى

غير اسمه الى
توت مع آمون

طيبة حاضرة البلاد القديمة . على ان الملك الذى يحى مذهب المنحذب الرابع
من البلاد جملة هو « حور لعب » خلف الخلف الثانى* إيتوت عنخ آمون ؛
ذ أزال من عالم الوجود معبد آتون الذى كان لا يزال باقيا الى هذه اللحظة ،

وقامت فى طول البلاد وعرضها جملة شعوله على كل شىء بخلد ذكر عابد
الشمس (اختاتون) أو اسرته أو الله ؛ فحيت اسمائهم وصودهم أينما عثر عليها
بنذك ظهر الدين القويم واتصرا انتصارا مينا ، ولكن الثمن كان غالبا ،

حور لعب
قصصه هي
الذهب الجديد
جملة

اذ كان فى ذلك القضاء على تلك الحياة الدينية التى كان أحسن ثمارها تلك
العقيدة الجديدة التى أخرجها ذكاء المنحذب الرابع . وبذلك وقف كل تقدم
فى هذا المذهب الجديد

وعلى ذلك أصبح آمون ثانيا صاحب للكتابة الأولى التى لا ينازعه فيها
منازع بين آله المصريين . واستمر كهنه على طريقتهم القديمة ، أى طريقة
التوفيق والتأليف بين المذاهب المختلفة فأخفوا يشعرون قرائتهم ليظهروا آمون
بأنه « هو الواحد الأحد الذى لا ثانى له »

أمون صاحب
الكتابة الأولى
ثانية

وتتمثل ميول السكينة الرجيمين ومبتدعاتهم الدينية فى تسبيحة طويلة
للمعبود آمون وهأنذا أفتبس لكم منها نموذجا أو نموذجين :

الحمد لك يا آمون ربح ، أنت أيها الثور الذى يسكن عين الشمس ، يا الله

* وهو الملك آتى والمعروف عنه من الآثار انه حكم أربعة أعوام - رابع

كتاب العالم جوتي فى أسما الملوك

الظهورنى أنت أيها الواحد القديم فى السماء وأقدم (الالهة) فى الأرض،
يا رب القانون ووالد الآلهة، الذى خلق ما علا وانخفض (يحتل
أنه يعنى الأجرام السماوية وحى الانسان)، ولفى غيض نوراً على العلم،
والذى يقوم بسياحة موقفة فى السموات؛ أنت يا أيها الملك رب المبارك، أيها
المسيطر على العالم، أنت يا غنيا فى قومه وممتلكا بطنك، الحمد لك
يا خالق الآلهة، يا رافع السموات، وباسط الأرض يا الله الكل
الذى خلق الأبدية، يا أيها الملك الرفيق للتوَج بالتاج الأبيض،
يا اله البهاء الذى خلق النور، يا من تسبح بحمده الآلهة، الحمد لك يا رب يا اله
الحق، يا من قدوسه لا يرى، أنت يا رب الآلهة، أنت «مخبرج» فى سفينتك
يا مراك تستيقظ الالهة، أنت «أتم» الذى ذرأ حى الانسان، أنت الذى
خلق كل شئ، موجود، الناس برأت من عينك، والآلهة من قبك. أنت
الذى خلقت الأعشاب النضرة للأنام، والأشجار التى تحمل الفاكهة
للناس. أنت الذى ترزق الأسماك فى النهر، والطيور تحت السماء، وتمنع
ريح الحياة للكائنات التى لا تزال فى برجها، وتمنع ابن العودة، وتمنع الحياة
للذباب، كما تمنعها للديدان وللبراغيث، وترزق الفقير ما يحتاج إليه فى
أجسادها الحمد لك يا من خلقت كل هذا. أنت أيها الملك
يا صاحب السلطان الأعظم بين الالهة. نحن نعبدك لأنك خلقتنا ونسبح
بحمدك لأنك صورتنا، ونشكرك وقدسك لأنك تميز بيننا»

تسبحة للاله
اسود رع

وبما لا مرأه فيه انك تلاحظ فى كل هذه العبارات نعمة ظاهرة واضحة
تنطق بمقيدة التوحيد. يداتها فى الحقيقة مجرد عاطفة، اذ الواقع ان للقوم
تمسكوا باهداب آلهتهم الأقدمين أكثر من قبل. فكان الاله امون

أعظم الالهة شأنًا ومجانبه كان «رعحوريس» محبوب عين شمس و «فتاح»
معبود منفيس لا يزالان محافظين على مكانتهما العالية بين الالهة المصرية،
وكان يسبح بحمدهما في تسايح كالتي اقتسبنا منها ما تقدم

والحقيقة انه لم يكن بين الالهة المصرية فضلاً عن ذكرنا من حظي

بمقام عظيم ومكانة سامية سوى الاله «ست»، وذلك لمدة قصيرة في عهد

الرعامسة. كان هذا الاله في بادئ الامر معبود «امبص» المحلي، ثم صار منذ

المصور الاولى اله الملكة الجنوبية (الوجه القبلي). ثم دخل في طائفة

«التاسوع الاكبر» لمدينة «عين شمس» ولعب دوراً هاماً في قصة أددريس؛

يضاف الى ذلك أن عبادته استقرت في شرق الدلتا وخاصة في مدينتي «تبس»

و«لوريس» (المنطرة الحالية) وبذلك أصبح الاله الحامي لشرق مصر. ثم

تخطى الحدود المصرية وصار الحامي لأمالك فرعون السورية. أما في مدينة

لواريس التي اتخذها المكسوس حاضرة البلاد بعد غزوه مصر، فإنه أصبح

كذلك حامي هؤلاء البرابرة وعدواً للاله «رع حوريس» الذي كان يحمي

المصريين ويخوهم في ساحة الوغى ضد عدو الوطن. والواقع ان الاله ست

صار عندهم الاله «بل» حامي القبائل وللدن السورية، غير أنه رغم ذلك

كان في نظر القوم مصري للنشأ، وفي في عداد الالهة المصرية ومكث يعبد

في مدته القديمة. وقد اعتبره ملوك الاسرة التاسعة عشرة لأسباب لم تقف

على كنهها بالضبط جداً لهم. وقد تسمى باسمه عدد وفير من ملوكهم

مثل سبتي (ومعناه المنسوب الى الاله ست) وستنتخت (ومعناه ست قوى)

ولما نقل رمسيس الثاني مقر حكمه لمدة وجيزة الى مدينة تبس على الحدود

الشرقية، أخذت شهرة الاله ست معبود هذه المدينة تزداد كثيراً حتى أصبح

مكانه الاله
ست

ست جد
مراعاة الاسرة
التاسعة عشرة

من أهم المعبودات، وصار يضارع في مكانته الالهة آمون ودهشوريس وفتاح،
ولذلك أقيم له بدلاً من معبده القديم معبد جديد غم لاتزال بقاياه العظيمة
تشهد ببهائه للناظر

وفي عهد الدولة الحديثة، حينما كانت البلاد المصرية على اتصال كبير
بغربى آسيا، دخل البلاد طائفة كبيرة من الالهة الأجنبية وقد وجدوا صدى
رحباً ومكاناً سهلاً من الأجانب الذين كانوا يقطنون مصر إذ ذلك بل من
المصريين أنفسهم أيضاً. ويشاهد ذلك خاصة في الاله « بيل » (Baalim)

الذى اعتبر أنه هوست، ومُعبَد في شكل الحيوان المائل الذى يمثل ذلك المعبود، ^{دعوى مسموعة}
ثم الالهة « أستارت » التى كانت كالالهة بابليون تمثل في هيئة امرأة عارية ^{احتبة في}
وقفة على أسد (حيوانها للقدس) أو على شكل امرأة برأس لبؤة على الطراز
المصرى؛ ثم نجد كذلك اله الحرب « وشب » لابساً خوذة الحرب وفي يده
حرية، والالهة قادش التى كانت تقب بختاب الالهة حانخور للمصرية مثل
« سيدة السماء » و « للسيطرة على كل الالهة » و « عين اله الشمس » و « بنت
رع ومحبة اله الشمس ». كذلك حازت « أنات » (الهة الحرب عند
السوريين) مكانة في المأبد المصرية، ونالت شهرة عظيمة في عهد رمسيس
الثانى حتى أنه سمي باسمها أحب بناته اليه « بنت آئات »

يبد أنه في خلال ألف العام الأولى قبل المسيح، عندما أخذت عرا المودة بين
مصر وسوريا وفلسطين في الانحلال تدريجياً، تدهورت عبادة الاله ست لأنه
كان وليّ الاسويين، وابتدأ المصريون يعتبرونه حامى أعدائهم فحسب.
ولم يقتصر الامر على ذلك بل أخذت الكهنة تصوّر شكل بلوز للدهور للمزوايه
في قصة أوزيريس، واصبح يعتبر في نظرم تدريجاً أساس كل شر؛ فانه هو الذى

ذبح أوزير واشتباك في نضال عنيف مع حورس المنتقم لآبيه. ومن ثم أصبح
 خصم إله الشمس ، وممثل الظلام ، ورب القحط والصحراء ، ولما هلك لكل
 نبيء حي . وكذلك صار عدواً لكل خير وشيطانا بين الالهة المصرية ، ثم
 انتهى الأمر بإخراجه من بين المعبودات المصرية ، فبطلت عبادته وعفى اسمه
 وصورة آتني وجدا . ولما وقف الاغريق الأقدمون على قصته قرئوه باله الشر
 عندهم « تيفون » اللدو الخرافي « لزوس » فاقضت على الأول صاعقة بعد
 شجار عنيف وسقط في « تارتاروس » (Tartarus) *

عن مصدر
كل شر

وقد كان إيلادست من بين المعبودات المصرية آخر مظهر من مظاهر
 التهمس عند قدماء المصريين للمحافظة على ديانتهم التي كانت وقتئذ في التزع
 الأخير؛ إذ بانحطاط شأن طيبة حاضرة البلاد تدريجاً بعد طرد ملوك النوبة
 أخذت شهرة امون ثلاثي باستمرار. ثم انتقل مقر الملك الى الشمال ونحو
 معه كذلك محور سياسة البلاد، فتج عن ذلك أن إلهة الدنيا المحلية، أمثال
 المعبودة « نيت » إلهة الحب والحبر و« باست » (القطة) معبودة يوسطه والمعبود
 « أنوبيس » ، وبخاتمة الاله أوزير وأمرته ، والمعبود « حوربوخراد »
 (حور الطفل) ، كل هؤلاء أخذت تعظم مكانتهم ويكبر شأنهم باستمرار

المسودات
المجلى في
الدنيا
سظم
شأنها

وبدخول المدينة الإغريقية البلاد دخلت معها عبادة « الأبطال » .
 وذلك أن الحكماء الاقدمين الذين كان يحج المصريون قبورهم من أقدم
 المصور ويحترمونها ومعظمهم كما يعظم المصريون الاولياء في عصرنا هذا ،
 دخلوا في العصر الاغريقي بين زمرة الالهة المصرية . فن بين هؤلاء نخص
 بالذكر « امنوتس بن حابو » المهندس الممارى البارح في عهد امنحتب الثالث ،

هاتمة الاصل

* العالم السفلي وبخاتمة للكان الذي يقاب فيه الأشرار

أصبح يعتبر نصف الله، وصار يعبّد في مبادئ عدة في طيبة الغربية؛ وكذلك « إيمحوتب » المقدس فانه أصبح في مصاف الآلهة؛ وهو من مشاهير المهندسين للمصريين المعاصرين الملك زوسر « الأسرة الثالثة ». وقد ساد الاعتقاد أنه كان صاحب حكمة وعرفان، ولا سيما في فن الطب الذي برز فيه. وكان قبره الواقع على مقربة من هرم مليكة (هرم سقارة للمرج) قبلة الذين يطلبون الشفاء من أوجاعهم؛ فسيّد له في هذا العهد الجديد معبد في هذه الجهة أقيمت فيه الشعائر الدينية احتراماً وتجيلاً له، فلم يند إيمحوتب كأحد الملوك الذين تقدّم لهم القرايين، بل أصبح الماء، وقرر للكهنة انه ابن الآلهة فتاح. وقد اعتبره الإغريق إلههم « اسكليوس » إله العلاج لقشابه صفاتهما. وقد سرّت عبادة إيمحوتب من منف الى سائر أنحاء البلاد. وبلغ من شدة احترام القوم له ان أقام له « بطليموس فلف » معبداً في جزيرة الفيلة المتاخمة لحدود النوبة

يد أن كل الآلهة المصرية تلاشت حيناً أدخل بطليموس الأول في وادى النيل إلهة الجديد « سرييس » باحتفال مهيب. وسبب ادخال هذا الآلهة في البلاد المصرية على ما روى أن « بطليموس سوتر » رأى في منامه أني ينقل الآلهة الأعظم « زوس هيدز » (Zeus Hades) من ميناء سينوب على البحر الاسود الى مصر. فحقق بطليموس هذه الرؤيا وقتل الآلهة المذكور الى لاسكندرية في موكب حافل حضره عدد عظيم من علماء اللاهوت من الأعريق والمصريين من بينهم منتون للورخ المصري القديم. وقد اعترف به القوم وعرف بالآله « سرييس ». يد أنه لم يقف احد الى الآن على كنه هذا المعبود. وغاية ما يمكن استنباطه أن بطليموس قد بلغ بميله هذا أميته

سرييس
الآله الجديد

فقد صير للمعبود الجديد (الماء) العالم الاغريق المصري، تحنى امامه كل رعاياه على السواء الروس اجلالاً واحتراماً . فضلاً رأى فيه الاغريق أكبر آلهة العالم اذ كان يمثل في شخصه « زوس » الله السماء و « هليوس » الله الشمس و « هيوز » الله العالم السفلي . ورأى فيه المصريون من طريق تشابه لاسماء علاقةً بالهجل ايس لله اللوتى ومعبود مدينة منف (الذي كان يسمى بمد عماته ازريس ايس) . فاعتقدوا ان الاله الجديد « سريس » هو « لزريس ايس » لهم القديم

وقد راجت عبادة سريس في مصر بسرعة مذهشة . ولوح أن سكان وادي النيل من أغريق ومصريين كانوا قد يقسوا من هودة مجد الهتهم الأقدمين ، وأصبحوا يتطلعون الى قوة سماوية جديدة ، وبذلك صار سريس الله مصر عامة في عصر الاغريق والرومان . بيد أنه لم يكن في استطاعة هذا المعبود أيضاً أن يمث حياة دينية جديدة في نفوس أهل مصر . والحقيقة أن الزرع وتثدي كان قد نضج للعنجل ، اذ على أثر تخريب معبد « سريس »
 بالاسكندرية في عهد تيودور الأكبر أول لبراطور مسيحي ، حطم تمثال هذا المعبود الأكبر بضربة من مطول جندي ؛ وهذا قد ضربت لوثنية المصرية الضربة القاضية . وبزوال « سريس » تمزق شبل الديانة المصرية ولم قم لها قائمة بعد

التضاء على
 الوثنية المصرية



المحاضرة الثالثة

المعابد والاحتفالات

« المصريين قوم يخافون الله أكثر من أى شعب آخر ». هذا هو حكم
هيرودوت على سكان وادى النيل من الناحية الدينية فى القرن الخامس قبل
الميلاد . ولا مشاحة فى أن حكمه عليهم فى هذا العصر المتأخر كان ينطبق
عليهم فى عصور تاريخهم الأولى . والواقع ان الماطفة الدينية كانت متعدة
عند المصرى فى كل عصوره ؛ فكان همه دائماً أن يحقق ارادة الله ، فيقوم له
بما عليه من الفروض الدينية ولا يرتكب أى اثم فى حرم معبده . وكان يخصص
فى كل بيت مصرى حجرة تستعمل على مقصورة صغيرة فيها تمثال الاله أو
صورته ، حيث كان أفراد الاسرة يؤدون فروض العبادة ويحرقون القربان .
وكان ينصب فى الطرقات أحياناً معابد صغيرة ، وتعد فى الحقول موائد القربان
ليضع عليها الفلاحون قربانهم

ومن المحتمل أن مصر من هذه الوجهة كانت شبيهة بمملكة كاثوليكية
بأوروبا الحديثة ، حيث صادف الانسان فى كل خطوة من خطواته تماثيل
القدسين ومعابدهم . حتى ان المراكز الدينية القليلة الأهمية لم يصل قلائدنا من
آثارها إلا القليل اليسير ، والمعابد المظيمة لا تزال خرابتها الضخمة تنبئ عن
عظمتها وروعتها المآلئين .

وليس لدينا من الآثار ما يدلنا على شكل المعابد المصرية قبل الأسرات
الآصور وللتفوش الهيرغليفية الصغيرة . ومن هذه نعلم أن المبد كان عبارة

عن كوخ صغير (حجرة صغيرة) مقام من الخشب أو خص من القصب ، وأمام هذا الكوخ كان ينصب عمودان ، وعلى وجهة باب لوحان مائلان من الخشب للروث . وكانت البقعة المقدسة في المعبد تحاط بسياج حتى لا يدخلها إلا من كان عنده جواز بذلك

المعابد المصرية
قبل الأسرات

وبابتداء عصر الدولة القديمة كان شكل المعبد المصري قد درج نحو الرقى بدرجة محسوسة تميزه مما كان عليه في عهده القبطي ، فأصبح يشاد من اللبن ومن مواد أخرى أشد صلابة كالخجر الجيري بل الخريت أيضاً . وكان يزين داخله بالمعد وتجلي جدرانها بالنقوش البارزة . ولا بد أن نعرف هنا أننا لم نقف إلى الآن إلا على نوع واحد من المعابد التي كانت تقام في هذا المعبد . وهذا النوع يختلف اختلافاً بيناً عن النوع المسمى في ترتيبه * . واقتصد بذلك معابد الشمس المشهورة التي كانت تشيدها فراعنة الأسرة الخامسة في مدائن « بوسير » الواقعة على بعد عشرة أميال من جنوبى أهرام الجيزة . وقد كشف عن أحدها بين عامي ١٨٩٨ و ١٩٠١ وأصبح كله طاهراً للعباد . ومشيدته هو الملك « نوسرع » . وهاك وصفه : يصل الإنسان إلى الربوة التي أقيم عليها المعبد بطريق مرتفع تدريجاً من المدينة الواقعة في الوادى ، ثم يدخل الزائر من باب ثخم ضخم يؤدي إلى بهو عظيم مكشوف كان مفاداً فيه مسلة عظيمة الحجم متكئة على بناء منطى بكثك حجوة من الجرانيت الأحمر . وكان امامها مذبح عظيم مشيد من كتل ضخمة من المرمر . وعلى يمين الداخل في المعبد ممر مستقيم ينتهى بترف ذخائر للمعبد ، وفيها كانت تحفظ

معابد الشمس
ووصفها

* ضربت صفها هنا عن معابد الأهرام التي كانت مخصصة لمعبدة الفراعنة في الدولة القديمة . انظر المحاضرة الرابعة

أواني التبريد وغيرها من الأشياء الثمينة. وعلى يسار الزائر يمر مثل سالفه بمحاذاة الجدار الجنوبي ثم ينطفئ إلى جهة الشمال وينتهي بقاعدة للسلة؛ وعند هذه النقطة ينحني هذا المر على شكل سلم حلزوني يؤدي إلى سطح مكشوف. وكان عند قاعدة السلة معبد صغير مزين بنقوش بارزة وديفحة الصنع تمثل الاحتفالات المختلفة التي كانت تقام في أعياد الملك. ومن أهم هذه الاحتمالات عيد وضع الحجر الأساس لمعبد الشمس. ولطاهر أن هذا المعبد الصغير كان عبارة من حجرة اللبس التي كان يستعملها فرعون عند الاحتمال بعيد تنويحه، فكان يترن فيها بلباس الاحتفال الفاخرة على اختلاف ألوانها.

أما المعابد العظيمة التي شيدت في عهد الدولة الوسطى (أى في النصف الثانى من الألف سنة الثانية قبل الميلاد) في أسرات المدن المختلفة كطيبة و«قفط» ومدينة القيوم و«بوسطلة» و«تنيس» فلم يبق لنا الأيام منها معبداً تاماً، إذ خربت كلها تقريباً في عهد الهكسوس، ذلك العهد الذى سادت فيه الفوضى والاضطراب، وما بقى من أقاضها استعمله القراعة ثانية في بناء معابد جديدة. غير أنه مما لا شك فيه أن تخطيطها كان قد ارتقى إلى المنطق الذى اتبع بعد في تخطيط المعابد في الأزمنة المتأخرة. فلتجهد إذن القارئ على كنه هذا التخطيط وتصوره في مخيلتنا:

ساعة الدولة
الوسطى م
يقع بها
نقطة يذكرونها

كان يؤدي إلى تلك البقعة للقنسة (المعبد) طريق داخل للدينة مرصوف مزين كلا جانبيه بتأثيل أبى الملوك أو غيرها من الحيوانات الرابضة التي كانت تقدس عند المصريين. ومحيط بالمعبد جدار من اللبن. ويدخل لآسان من بوابة عظيمة مشيدة من الحجر لها طنق محفور عليه رمز الشمس

المجسدة . وأول ما يتعرض الزائر بعد اجتياز هذه البوابة « ييلون » عظيم وهو عبارة عن باب ضخم ذى برجين مشيد أمام وجهة للمبد الضيقة . وبعد اجتياز هذا « ييلون » يرى الانسان نفسه فى ساحة واسعة مكشوفة مزينة حسب السد جوفها بالعمد وفى وسطها للذبح العظيم الذى كان يجتمع حوله الاتقياء فى أيام المولسم والأعياد . وكان محظوراً على العامة أن يجاوزوا حدود هذه الساحة الى داخل المبد . أما المبد الحقيقى فواقع وراء هذه الساحة ذات العمد . وهو مشيد على رصيف صناعى مرتفع عن الساحة . ولا بد أن يشتمل على ثلاثة محال : الأول هو صنبر ذو سقف مقام على عمد ، وليه هو للعمد ، وكان هذا يشاد عادة على شكل كنيسة ذات ثلاثة صحن متولزية أو سطها شاهق الارتفاع والصحنان الجانبيان منخفضان . ومن هذا الباب يصل الانسان الى قدس الاقداس وهو القم الحقيقى للاله . وقد جرت العادة أن يشتمل قدس الاقداس على ثلاث مقاصير متلاصقة . فى وسطها كان يوضع تمثال الاله الأعظم (تمثال المعبود آمون) فى طية مثلاً ، وفى المقصورتين الأخرين كان يوضع تمثالا للمعبودين المكملين للثالوث ، فى طية كانت الالهة موت والاله القمر « خفسو »

على ان تصميم المابد المصرية فى مجلته كان يشبه بيت المصرى القديم؛ اذ كان الأخير يقسم كذلك الى ثلاثة اقسام بلى الواحد منها الآخر : فالأول للاستقبال وهو ما يقابل فى المبد هو للعمد ، والثانى للولائم ، والثالث خاص بتصميم المبد كتصميم البيت بصاحب البيت . وبالنظر لهذا التشابه بين المبد والبيت ، كان المصريون يحقن كل الحق فى تسمية للمبد « بيت الاله » . وكأ أنه من البدهى أن المصرى النبيل كان لا يكتفى بثلاث حجرات فى منزله ، كذلك جرت العادة

أن تشاد في معبد الاله حجر أكثر مما ذكرنا؛ فكان هو المعبد عادة منفصلاً عن قدس الاقداس بقاعات أخرى اضافية ، وكان يبنى حوله كذلك عدة حجرات صغيرة قد تبلغ نحو الاثني عشرة . وكانت المابد في المصور للتأخرة خاصة، تشتمل على محراب مبنى امام قدس الاقداس خصيصاً للقارب للقدس الذي كان يوضع فيه تمثال خاص للاله .

وخلافاً لهذه المابد البسيطة التصميم كان هناك مابد أخرى أعظم حجماً وأكثر ابداعاً في التركيب . وسأكتفي هنا بذكر معبدى الأقصر

والخودنق (الكرنك) اللذين لا يمكن لرجاع نظام هندستهما الى ما وصفت ^{تصميم معبد} ^{الأقصر} ^{والكرنك} ^{مختلف عن} ^{المابد السابقة} ^{أنهما لم يشيدا} ^{على حسب} ^{تخطيط واحد، بل كانا} ^{نتيجة} ^{تخطيط عدة} ^{وضعا} ^{مما يرون} ^{مختلفون.} ^{وعلة ذلك أن كل} ^{فرعون من} ^{الفراعة} ^{كان} ^{يجب أن} ^{يشيد} ^{لنفسه} ^{هيكلاً} ^{تخفاً على شكل} ^{جزء} ^{مضاف} ^{للمعبد} ^{الأصلى} ^{في} ^{قفاخر} ^{بذلك} ^{أسلافه} . ولهذا السبب نجد أن معبد الكرنك له ما لا يقل عن خمس بوابات (شيدتها ملوك عديدون) الواحدة تلو الأخرى، وأن معبد الأقصر به ثلاث ساحات عظيمة

وقد جرت العادة أن يختص مكان الحيوان للقدس الذى كان يتجسد فيه الاله على الأرض . فكان العجل أيس معبود منف يتخذ مقامه على مقربة من معبد الاله فتاح وهو الاله الذى يتخص ذلك العجل . وقد عني الملك «بستميل» بتجديد مأوى العجل ايس، فصار يشتمل على ساحة مكشوفة

يحيطها هو يرتكز سقفه على عمد يستند عليها تماثيل للولك والالهة . وكانت جدراته كجدران للمعبد بزخارف بالرسوم والنقوش البارزة . كذلك كان في مدينة «لوسنيوى» من أعمال الفيوم بحيرة على مقربة من معبد الاله

مأوى
المبران القدس

« سبك » . وكان القوم يستنون بالمحافظة على التمساح في هذه البحيرة لأنه

كان المظهر الذى يجسد فيه الاله سبك

وقد روى لنا في ذلك « استرابون » السائح الرومانى الذى زار مصر في عهد

التمساح وعادته الامبراطور اغسطس ، ما يأتى :

« كان التمساح يبدش على الخبز واللحم والنبذ الذى كان يقدمها له الزوار

الذين يقدون لمشاهدته . وقد راقبنا رب المنزل الذى كنا بضيافته الى البحيرة

ومعه فطيرة صغيرة وجزء يسير من اللحم للشوى وزجاجة نبيذ . وعند

وصولنا وجدنا التمساح نائمًا على الشاطئ » ، فتقدم اليه الكهنة ، وفتح واحد منهم

فيه ، ودس آخر فيه الفطيرة ، ثم أتبعها باللحم ، وبعدئذ أخرج زجاجة النبيذ أيضًا .

وعند ذلك اندفع التمساح في الماء هائمًا الى الشاطئ الثانى . ثم ظهر زائر آخر

يحمل هدية كالساجة فأخذها الكهنة منه وهرولوا حول البحيرة وأطعموها

التمساح كما فعلوا من قبل

وكان يوجد خارج المبد الأسمى (فى دائرة جدوان السباح العام) عدة

مقاصير ، ومساكن للكهنة ، ومبان شاسعة خاصة بالفلاحة ومخازن للفلال ،

المسد
مدينة صغيرة

وحظائر ، وحدائق ورك . فكان المبد ومرقانه شبيها بمدينة صغيرة

ويشاهد فى المابد المصرية ان السطوحات الملاء ، كسطوح جدران

البوابات والساحات والقاطات وغيرها من الاجزاء المخصصة للمباداة ، كل

هذه منقطعة بالصور والنقوش المبروغليزية وذلك من أقدم المصور ، فكانت

الجدران الخارجية كجدران الليلونات والساحات (أو بعبارة أخرى كل أجزاء

جدران المسد
تغطي بالنقوش

المسد التى كانت مرسنة لأن يراها عامة الناس) ينقش عليها مفاخر فرعون

الديونية : كالشجاعة التى أظهرها فى ساحة الوغى ضد عدوه وتخليد

الأبعاد المطيعة التي أعطاها وغير ذلك من الحوادث الدائمة في تاريخ حياته .
من ذلك أننا نرى مغلداً على جدار إحدى ساحات معبد الدير البحري في
طيبة الغربية ، تلك البعثة للتجارة التي أرسلتها لللكة حتشبسوت الى بلاد
بنت (الصومال) أرض الروائح العطرية ، وعودتها الى حاضرة الدولة تحمل كل
أنواع التحف والطرف . وكان النرض الأول من هذه النقوش أن يتصور
الناظر اليها مقدار ما كان عليه فرعون من قوة وجلال

منه حتشبسوت
الى بنت

أما جدران المعبد الداخلية فكانت موقوفة على تمثيل الاحتفالات الدينية
التي تقام داخله . فترى عليها الملك مرسوماً بزيه الرسمي مائلاً أمام الآله ،
يقدم له البخور أو يصب الماء أو يهدى اليه نبيذاً أو لبناً أو فطيراً أو أطوافاً
من الأزهار ، وفي مقابل ذلك يكافئه الآله بالحياة (وهي أئمن هدية) في
شكل إشارة هيروغليفيه مدلولها « الحياة » . وفي مناظر أخرى نرى فرعون
تتويجه الهتا الجنوب والشمال ، أو نرى الله للمبد الأكبر يتقش اسم فرعون
على شجرة الجيز للقدسة حتى يضمن بذلك تخليد حكمه . وكثير من هذه
المناظر لم يرسم إلا لمجرد الزخرف ، ولكن غيرها كان مرتبطاً بالطقوس الدينية
الخاصة بالجزء الذي هي فيه من المعبد . فكثيراً ما نرى في حجرة الاستقبال

نقوش جدران
المسند الداخلية

الملك يصب عليه الإلهان حورس ونموت الماء المقدس ، وبعد ذلك يسير الى
الحضرة الالهية مطهراً من كل غبار الحياة اليومية : أو نزاه في قدس الأقداس
وهو يؤدي كل أنواع الطقوس الدينية أمام المركب للقدسة

ولا بد أن نترف هنا لأن معظم هذه الرسوم والصور مقشاه * لا يكاد

(٥) يلاحظ مثل ذلك فيما يكتب من الآيات القرآنية والأحاديث وغيرها على

جدران المساجد - للترجم

نشابه الفؤوس
وكل المابد

يكون فيه تغيير وخاصة في معابد المصور للتأخرة . وترى هذا التشابه للمعل
يصنه في الكتابات المبروغرافية للرأفة للرسوم ، اذ الواقع أنها صور مما يلقيه
للك أمام الاله وما يجيب به الاله الملك . فيحيط فرعون الاله علماً مثات
المرات انه أحضره الروائع المطرية والخبز والنفيد، ويحييه الاله مراراً وتكراراً
انه « سيبه كل الحياة وكل السكينة وكل الخلود وكل الصحة وكل سرور
القلب » ، أو انه « سيطيل سنى حياته أدياً ويسوده على عالم معم بالسور »
أما الأواني للقدسة التي كانت تستعمل في العبادة ، كالأنبيق والطاسات
والأوعية التي كان يحفظ فيها كتب الأدعية والصلوات ، وللباخر وهم جرا ،
فلم يبق لنا منها إلا التزوير اليسير . فان هذه الأدوات التي كانت تحفظ في
معابد البلاد العظيمة ، والتي كان معظمها يقدم هدياً من فرعون ،
رغم وفرتها ، سقطت غنية باردة في أيدي غزاة البلاد ولصوص المابد في
خلال الثورات العظيمة التي كانت تنتاب البلاد وتقلبها رأساً على عقب .
وقد أصاب مثل ذلك السفينة للقدسة وتمثال الاله ، وهما أعين مشتتات كل
مبد . اذ كان تمثال الاله يصنع غالباً من خالص الذهب أو الفضة أو الشبه
بلذهب ، أما الثغارب المقدس الذي كان يحمل فيه الاله على الأعناق باحتفال
حيب ، فكان يصنع من مواد ثخينة محلاة بالذهب أو الفضة أو الأحجار
الكريمة . أما زخارف مباني للمبد فلا يزال باقياً منها شيء . وغير اذ في
كثير من المابد ترى للسلات التي كان يقيمها فرعون على ما يظهر احتفالاً
يوم تويجه ، لا تزال شائعة برأسها الى يومنا هذا أمام مدخل بوابة للمبد .
وكذلك ترى في ساحات المبد وقاماته تماثيل الآلهة والفراشة لا تزال قائمة
ذات هية وجلال

ويتضح من قراءة الرموز المبروغرافية التي على هذه الآثار، أو التأمل في الصور والنقوش البارزة التي على الجدران، أن المعبود لم يشيد إلا لتخليد ذكرى فرعون، وأنه هو الفرد الوحيد الذي منح شرف التعجب من الآلهة ومخاطبته. والظاهر أن ذلك كان صحيحاً نظرياً، إذ كان للملك وحده الحق أن يخدم الآلهة بدون وسيط، وله كذلك أن يشاهده ويتابعه. أما في الواقع فكان الأمر عادة غير ذلك. إذ لم نسمع باختكار الملك هذا الحق لنفسه إلا في أحوال نادرة. من ذلك أنه لما سار « يميني » ملك اتيويا (يحيثه للظفر) من جنوبي مصر إلى قلب الديار المصرية حوالي منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، دخل مدينة « عين شمس » كغيرها من البلدان وزلزل فيها معبد الشمس الفاتح الصيت

« صعد الملك السلم ليرى إله الشمس في قدس الأقداس، فوقف بالملك هناك منفرداً، ثم فُض سقف الزلاج وفتح مصراعي الباب، وشاهد أبله رع (إله الشمس) في قدس الأقداس الفاسخ. وشاهد كذلك قلوب رع في الصباح وقارب « أتم » في المساء. ثم أوصد مصراعي الباب ثانية ووضع عليهما الطين وختمهما بالخاتم الملكي. وبمدئذ أعطى الأول الكهنة كاتلاً. أنا (وضعت هنا) سخاي وليس لأى إنسان من الملوك الذين سيأتون بعدى أن يدخل ههنا »

وكانت المادة المثبتة أن الكهنة أيضاً يناجون الآلهة باعتبارهم نواباً عن فرعون. وكان من واجباتهم أن يقوموا بأداء حاجيات الآلهة: فيلبسوه ويحمواوه ويزيدوه بحليه وينظفوا حبرته الخاصة قدس الأقداس ويمسحوها بالروائح الزكية. وإذا كانت كل عبادة في البلاط مع فرعون تتطلب مراسيم

بناء المعبد
لتخليد ذكرى
فرعون

الكهنة يهرون
عن فرعون
في خدمة الاله

وتقاليد صارمة، فلا غربة لذا كانت مناجاة الاله تستلزم ما هو أشد منها وأدق ؛ وكان عند الكهنة كتاب طقوس ثابت منابط لمصنع الاحتفالات والصلوات اللازمة للاقترب من الاله وخدمته . فكان لا بد لكهنة طيبة اتباع مون أن يؤدوا ما لا يقل عن ستين شعيرة دينية ، أما كهنة أوزيريس في مدينة الشماخ الدينية ابدوس (للعرابة المدفونة) فكانت واجباتهم أهون من ذلك ، إذ كان عدد الشعائر التي يؤدونها لا يتجاوز الست والثلاثين

وكان لكل احتفال صلاة خاصة ترتل فيه ولا بد من إجادتها تمام الاجادة . وكثيراً ما كانت هذه الصلاة تنقش على جدار المعبد نفسه فيستطيع الكاهن أن يقرأها من الجدار

فتلاً حينما كان يدخل الكاهن بهو المعبد بالعرابة المدفونة وفي يده البخيرة كان من واجبه أن يردد الكلمات الآتية :

« مثلت أمامك أيها الواحد العظيم بعد أن طهرت نفسي »

« ولما مررت بالالهة « قننت » طهرتني »

« أنا كاهن هذا المعبد وابن كاهنه »

« أنا كاهن حضرت لأقوم بعمل ما يجب عمله ولم آت لأعمل ما

لا يجب عمله »

وهند ما يصل الكاهن أمام القصور حيث يتخذ الاله مقعده ، يجب عليه أولاً أن يفض الخاتم الطيني للوصد به الباب ، واذ ذاك يرتل العبارة الآتية :-

« لقد كسر الطين ودمر الخاتم ليفتح هذا الباب ، وكل ما أحمل من شر

أتى به الى الأرض . »

ثم يقرأ تعاويذ أخرى فيفتح أمامه الباب . فيبدأ الكاهن بتحية الصل
المعظم القائم على حراسة المعبود، ثم يدخل قدس الأقدس ، حتى إذا بلغ تمثال
لاله شرع في تزينه كما تزين الأحياء هرباً . فيبدأ بمخلع ثيابه ثم ينزل من
جسده اللدهان الأحمر القديم وزينه بدعاه جديد، ثم يأخذ في إلباسه
ملابس جديدة . وهو في كل هذه الأعمال يقرأ الأدعية والصلوات جاعلاً
لكل عمل منها صيغة خاصة . ولا يزال بالمعبود يلبسه وزينه ، حتى إذا جعله
على أحسن هندام وأجل رونق فادوم مقصوده وسد عليه الباب بانغلاق مرة
أخرى . وكانت عملية التزيين الالهي هذه تعمل كل صباح بنفس الإجراءات
التفصيلية المتقدمة ولزوها كل يوم تنظيف للمبد وتغييره كل يوم

ولم يكن لللبس والسكن كل ما يلزم اعداده اللاله ، بل كان من
الضروري قبل كل شيء مده بالأكمل والمشرّب . وقد كان لتلك المكانة
الاولى في كل الأزمنة . ففي بادئ الأمر كان يقوم بتقديمها أهل التقوى ومن
أشربت قلوبهم حب الدين ، اذ كانوا يقدمون لإلهتهم باكورة ثمار حقولهم
وحداتهم ، وكل ما لذ وطاب من خيرات بيوتهم . بيد أنه على كر الأيام
تلاشت هذه الهدايا أمام القرابين المظيمة التي كان يقدمها الملك الى المعابد
في جميع أنحاء البلاد : وفي مقدمتها الكميات الوفرة من البخور والأزهار
لينة المذايح ، والشهد والخبز ، ولقطير ، واللانشية واللجاج ، وبخاصة الأوز ،
والجمعة والنبيد

على أنه في الواقع لم يستعمل من كل هذه القرابين في شؤون الاله إلا
جزء ضئيل جداً وهو البخور وما يقدم للناس من الشروبات . حقاً ان اللدبايح
كانت توضع على موائد القرابين في فناء المبد ، لكنها لم تكن تحرق في النار

القرابين في
الواقع تأسفها
خدمة أعمد

كما كانت العادة عند أمم أخرى ، والحقيقة ان معظم الأكرالات والمشروبات التي كانت تقدم للمعبود كان يأكلها الكهنة وصغار المستخدمين . أما القرايين الوفيرة التي تقدم في أيام المولسم والأعياد ، فكان جزء عظيم منها تولى به الولائم لزوار المعبد . وبها يظهر المعبود في معبده من كرم الضيافة لزواره ما يظهره المرء في بيته

وكان لكل معبد أعياد كثيرة في كل سنة . وقد روى هيردوت أن المصريين كانوا الى عهدهم يحتفلون مرات عدة خلال السنة ليعيدوا الأعياد . وتمثل في هذه الأحتفالات الروايات الدينية . فيمثل الكهنة الحوادث الهامة في تاريخ حياة الاله التي يحتفل بعيدة . ففي المراة المدفونة مثلاً كانت تمثل قصة الاله أوزيريس . وذلك بأن يسير موكب الاله من معبده بالمدينة الى مقره الأزل في الصحراء ، وهنا يمثل الكهنة وغيرهم الحركة العظيمة التي قضى فيها أوزيريس على أعدائه القضاء للميرم

الاعباد
في المباد

وكذلك كانت تعقد احتفالات فيها يزور إله إلها آخر في معبده في موكب مهيب ، فيقدم للإله الزائر وأتباعه الأطعمة من اللحم وأنواع الكمك . ومن هذه الأعياد ما تعرف عنه شيئاً يسيراً من النقوش التي على جدران المعابد ؛ كالاحتفال بعيد الضحية الذي يقام تكريماً لإله الحصاد المسى « من » في نفس اليوم الذي يحتفل فيه بعيد تنويع الملك

تراور الالهة
في الاعباد

ومنها ما وصلت إلينا عنه معلومات دقيقة ، ككيفية الاحتمال بها في العصر التأخر في مدن الوجه البحرى مثل بوسطة ، وبوصير ، وسائس (صا الحير) ، وبوتو ، وغيرها تعظيماً لآلهة تلك المدن . ومن أشهر هذه الاعياد عيد العبودة « باستت » كلمة بوسطة . فقد روى هيردوت أن

المجتمعين بهذا العيد كانوا يتقاطرون رجالاً ونساء على هذه المدينة من أطراف
البلاد في زورقهم . وقد كان هذا العيد آية في الانس والسرور ، اذ كان
الوافدون اليه يرحلون ويلعبون ويلهون طوول طريقهم الى بوسطة ، وكان
صدى الغناء والموسيقى يملأ سطح الماء ، فالنساء يصرين على الدفوف والرجال
يلعبون على الزامير وبعضهم يفتنون أو يصفقون ، وقد تنزل الجماعة منهم
أحياناً بقرية من القرى التي يبرون بها فيقومون فيها بكل أنواع اللعب

وعند ما يصل الوافدون بوسطة يقتلهم يهرون القرابين العظيمة ؛
ويقال انه كان يحتفى في هذا العيد من الحر أكثر مما يحتفى في كل البلاد
في سائر العام ، كما قيل ان عدد الزوار الذين اشتركوا في أحد هذه الأعياد
بلغ ما لا يقل عن ٧٠٠,٠٠٠ نسمة . وقد يكون هذا العدد مبالغاً فيه ،
غير أنه مما لا مشاحة فيه أن بوسطة كانت تضم بين جدرانها في مثل هذا
العيد من الزوار ما تضمه مدينة طنطا الحالية مثلاً أيام المولد الأحمدي

وكان عدد التسابيح والاعاني التي ينشدونها الكهنة ودمماء القوم معددين
منافس اهتمام عظيم . وبعضها يثير شعوراً دينياً طاهراً وينبئ عن حماس
شعري يبعد له مكاناً فصيحا حتى في صدور القراء في وقتنا هذا ، غير أن
المدلول الدقيق لمعظم هذه الاعاني يضع بكثرة تكرار العبارات تكراراً
مملأ جداً . وقد اقتبست لكم في محاضرتي الثانية نماذج من هذا النوع من
الأديان ؛ وربما يكون عندكم الليل لسامع شيء آخر لتكوتوا لأنفسكم
فكرة عن شكل هذه القصائد ومحتوياتها

وسأبتدئ بترجمة بعض آيات من تسبيحة للإله تموت (وهو هرميس
عند اليونان) وفيها يتدح القوم بأنه إله القمر ثم إله السماء ثم قاض :

حد
السنة بلد

مدلول
الاعاني الديني

« انى آتى إليك أيها الثور بين النجوم ، أى تحوت ، أنت أيها القمر الذى فى السماء . أنت فى السماء ومع ذلك يفيض بهاؤك على الأرض ، شعاعك نسيعة
للالة تحوت
ينير مصر

للمد لك أنت يا رب الالهة المقدسة (الميرغلفية) ، أنت أيها القاضى فى السماء والأرض . أنت با واهب للكلام والكتابة ، وما نوح السلع ومالى البيوت (بالخيرات) ، يا من يعلم علم الآلهة ، وما يجب نجوم «
وكذلك تجلبى جمال التميز وصدق الشمور فى تسيحة ترتل خطابا للالة
«أمون رع» ملك الالهة وفيها يتدح هذا للمبود بأنه هو الاله الأعظم الموجود فى كل شيء . وهي :

« يا الهى يا رب كل الالهة يا أمون رع طيبة
امدد الى يدك ونجنى

لشرق لأجلى (كالشمس) أجبنى ثانية

أنت الاله الأحد الذى لا شبيه له

أنت الشمس التى تشرق فى السماء

أنت (الاله) « أنم » الذى برا الانمان

أنت تسمع دعاء من يدعوك

أنت تخلص الانسان من يد القوى

أنت تمنح نسيم الحياة لما لم يخرج بعد من البيض للانس والطيور

أنت تخلق ما نحتاج اليه الفيران فى أحجارها والودود والبراغيث «

وبلاحظ أن كثيرا من هذه العبارات ينطبق بوجه خاص على اله

الشمس وبشابه عبارات للتسيحة العظيمة التى وعنها الملك الزائف اخناتون

نسيعة
للالة أمون رع

وهي التي أسلفنا الكلام عليها في المحاضرة السابقة

لم تكن خدمة للمابد في أقدم عصور الأمة المصرية وفقاً على طائفة خاصة من الكهنة، بل كانت حقاً مشاعاً لكل أفراد الأمة. حقاً كان لكل معبد خدمته الخاصة الذين يقدمون له الضحايا ولا يقترون لحظة عين عن خدمته، غير أنه في الوقت نفسه كان لكل فرد من طيبة القوم فضلاً عن وظيفته

الدينية وظيفه أخرى دينية. وكان لهذه الأخيرة غالباً علاقة بالوظيفة الدينية. مثال ذلك أن القضاة كانوا غالباً كهنة «ممت» لغة العدل، وكان حكام الأقاليم غالباً رؤساء كهنة للمبوبات التي تحمي مقاطعة كل منهم

الوظائف الدينية حق مشاع في أول الأمر

وقد زعم هيردوت أنه كان محرماً على المرأة أن تشغل وظيفة كاهنة سواء أكان ذلك لمعبود أو معبودة. وهذا قول لا نصيب له من الصحة فيما يتعلق بالمصور لأولى من التاريخ المصري. فقد كانت النسوة وتشذ يستخدمن في المرأة تكون الممابد، وكثيراً ما نجد ذكر الكاهنات وخاصة في عبادة الإلهات كالالهة حاتحور والمعبودة نيت

وفي عهد الدولة الوسطى كان عدد الكهنة الرسميين لا يزال قليلاً بالقياس إلى غيرهم. ففي معظم الأحيان كان للمبد كاهنان فقط، وإذا زاد على ذلك فلا يتجاوز الخمسة، يضاف إلى هؤلاء طبعاً عمال من الدرجات الصغرى كالبروايين والحراس والقمعة على اختلاف أنواعهم. وفي بعض الممابد كانت مناصب الكهنة الرسميين تشمل منصب «رئيس الكهنة» أو كما يسميه المصريون أنفسهم «نائب الكهنة»، غير أن هذا المنصب كان يشغله عادة رجل من غير رجال الدين هو حاكم المقاطعة. وذلك جرياً على عادة قديمة. فكان بذلك لهذا الحاكم السيادة السياسية والدينية في مقاطعته. وأصبح من واجبه

الكهنة الرسميون

منصب رئيس الكهنة

أن يسهر على صالح رعاياه من الوجهة الدينية . ولا شك أن إضافة هذه الوظيفة الى عمله زادته شرفاً ورفعة كما أكسبته فرائد مالية وفيرة . يضاف حامل آخر ذو مقام سام بين الكهنة الرسميين في كل معبد يسمى المقرئ الأول ، وكان يعتبر عالماً بالعلوم اللاهوتية في معبد الكهنة ، وهو الذي عنده علم الكتب المقدسة ويعرف الكتابة ويمجد القراءة قبل كل شيء . وعمله أن يترنل الكتب المقدسة جهراً . وكان ملماً بأساطير الأقدمين متضلماً في فنون السحر ، ولا عجب إذن أن كان ينظر اليه كأنه ساحر عظيم ، كما لا عربة أعمال المقرئ في أن مقرئ الكهنة في مصر في عهد الفطرة قد اشتهر وافي الأساطير المتداولة بأنهم اتوا بفضل حكمتهم بكثير من العجائب والفتنات والأشياء الخفية . وكان عند المصريين عدا الكهنة الرسميين جيش جرار من الكهنة غير الرسميين أو كهنة الساعة كما يعبّر عنهم المصريون أنفسهم . وكانت تضم جماعة منتظمة دائمة تنسب الى اللبد ، وكل جماعة تقسم الى أربع فرق تقوم كل منها بخدمة اللبد مدة شهر بالتلويح ، فتخدم كل واحدة ثلاث نوبات في العام . وكان لكل فرقة رئيس خاص وكاتب للمبد ومقرئ ، أو ببارة أخرى كان أعضاء هذه الفرق متعلمين تملأ طلياً ، ولا شك انهم كانوا يعدون في الحياة الملكية في صف الكتاب أو المستخدمين . وفي حين كان الكهنة الرسميون يتمتعون بمرتبات عظيمة يحجبونها من دخل للمابد الوفير ، كان كهنة الساعة يتقاضون مرتبات ضئيلة جداً . والحقيقة أن الجزء الأعظم من دخلهم كان من وظائفهم المدنية ، أما وظائفهم الدينية فكانوا يؤدونها في مقابل أجر زهيد جداً ، يدلنا على ذلك ما وجد في دفتار حساب الدولة للتوسطة . فقد ذكر أن دخل أحد للمابد كان ينشر شهرياً ، فيتقاضى منه رئيس كهنة

كهنة الساعة
والفرق بينهم
وبين الكهنة
الرسميين

الساعة (أى رئيس الكهنة غير الرسميين) ثلاثة أسهم فقط ، فى حين أن رئيس الكهنة المتمرين ، وهو فى الحقيقة أقل من سابقه رتبة ومقاماً ولا يتنازعه إلا بأنة من الكهنة الرسميين ، كلت يتقاضى منقضى ذلك للتقدير أى ستة أسهم . يضاف الى ذلك أن هذا كان يتقاضى مرتبه اثنتى عشرة مرة فى السنة ، أما اخوه من كهنة الساعة فكان لا يأخذ مرتبه إلا ثلاثة أشهر فى العام بالنظر الى تناوب العمل بين الفرق كما أسلفنا

والآن نذكر حقيقة ذات شأن فى تاريخ المدينة ، وهى انه لما جاءت الدولة الحديثة التى أعقبت طرد المكسوس من البلاد ، وانضمت للعبادة تجمداً لها مكاناً رجباً ومظم شأنها فى قوس القوم وحياتهم ، فصلت فرقة كهنة الساعة من عداد الكهنة المصريين ، وقُصرت كل أمور العبادة على الكهنة ^{فصر الوظائف على الكهنة الرسميين} الرسميين وأصبح لا تنازعهم فيها منازع . ومن البدعى أن عدد هؤلاء قد ازداد بذلك زيادة عظيمة . فان كثيراً من الأعمال التى كانت من واجبات كهنة الساعة انتقلت بطبيعة الحال الى الكهنة الرسميين ؛ يضاف الى ذلك أن أدلة ثروة للعبادة لوميرة التى كانت فى ازدياد مستمر ، تطلبت استخدام عدد عظيم من الممال أما حدود عمل كل كاهن ونوعه فيمكن الوقوف عليه من اسم وظيفته والألقاب الأخرى التى يحملها . فتلاً « الذى الأول » أو رئيس كهنة امون ، كان فى الوقت عينه يحمل لقب « المدير الأكبر للأشغال » وكلت ذلك يقضى بأن يأخذ على عاتقه أعمال البناء الشاسعة الخاصة بالمعبد وأن يعمل ^{رئيس الكهنة وأعماله} على ما يكسبه (الاله) بهاء فى مقصورته . ومن ألقابه كذلك « قائد جيوش المعبود » . ولذلك كان يهود جنود للمعبد ، ومثله فى هذا كهل رئيس الأساقفة فى القرون الوسطى بأوروبا . ومن أعماله أيضاً رتبة المالية . فكان يدير

حركة مالية للمبد وهذا في الحقيقة عمل لا يستهان به . ولم يقتصر تفوقه على معبد الاله امون وكنهته ، بل كان رئيساً لكهنة الهة طيبة وكذا رئيساً لكهنة جميع الهة الشمال والجنوب . ومعنى ذلك ان كل كهنة البلاد كانوا تحت اشرافه ، وان في قبضته اكبر سلطة دينية في كل البلاد من أقمصاها الى أقمصاها . وقد عرف كيف ينتفع من تلك السلطة تمام الانتفاع ، فانه كلما خلا منصب رئيس الكهنة في معبد من المابد الأخرى ، (كرئيس كهنة معبد الشمس في هليوبوليس) وما يليه من المناصب ، لم ينصب فيها أحد الا من وقع اختياره عليه . وبهذه الكيفية أصبح في يد كهنة طيبة أموال طائلة فوق ما لهم من القوة السياسية للعظيمة ؛ اذ كان دخل المابد القديمة العظيم يتدفق الى خزائن هذه الطائفة وحدها . وسيظهر لنا جلياً بدء ما عاد على الدولة من الأخطار من جراء ذلك

ومن حسن المصادفات أن لدينا مصادر وثيقة عن الخطوات التي كان يدرج فيها الفرد حتى يرقى الى أعظم رتبة دينية عند قدماء المصريين . فقد روى « بكتخنسو » الذي كان رئيساً لكهنة امون بطيبة في عهد رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر ق . م ، في تلويح حياته الذي كتبه بنفسه ، أنه تربى تربية حرة في أحد اصطبلات فرعون من الخامسة الى الخامسة عشرة من حياة تكهنه عمره . وفي السادسة عشرة التحق بمجموعة أشهر المابد المصرية فجعل عندئذ كاهناً صغيراً . ولما ناهز العشرين اجتاز هذه الدرجة الدنيا ، فارتقى الى الدرجة التي تليها وهي « اب الاله » . ومكث في هذه الدرجة اثني عشر عاماً . وفي سن الثانية والثلاثين رقى الى درجة « نبي » فكث « رئيس الكهنة الثالث » (نبياً ثالثاً) مدة خمسة عشر عاماً ، فنبياً ثانياً مدة اثني عشر عاماً . وفي

التاسعة والخمسين من عمره نصبه فرعون منصب « أول انبياء امون ورئيس رؤساء كهنة جميع الالهة ». وقد أظهر نفسه في مركزه الجديد اباً شفيقاً لرهوسيه، فربى شبانهم ومد يد المساعدة لمن كانوا على شفا السقوط وبذل عن سعة لمن عجزهم الفقر بنابه

على أنه لم يكن في مقدور كل فرد أن يرقى في حياته ذلك الرقى الباهر الذي ناله بكنخسوه، اذ الواقع أن الأفراد الذين كرسوا حياتهم للكهنة كانوا كأمثالهم في سائر أنحاء الدنيا، يطلون طول حياتهم في وظائف صغيرة، ويقتنون بالبقاء بين جدران المبد في سكينة وطمأنينة يبيد عن هموم العالم وأحزانه، اللهم إلا من منحهم الله مواهب عظيمة أو من عضدهم ذو جاه وقوة

وكان زى الكهنة في المصور الأولى أيام كانت طائفة الكهنة الرسميين قليلة العدد، لا يختلف كثيراً عن زى سائر الناس. ولم يكن بينهم من امتاز بلبسه الأ رؤساء للمعابد الكبرى، فكانوا يرتدون شعاراً معيناً شامة لعظم مكانتهم. زى الكهنة من ذلك أن رئيس كهنة فتاح كان يحلى بحلى خاصة في رقبته، مزينة بمصور حيوانات هجينة الشكل ساذجة، يدل أسلوب منها على أن منشأها لم يكن من العصر التاريخي بل يرجع الى أقدم عصور القطرة. وكذلك كان مضر أفراد الكهنة يرتدون جلد فهد على أكتافهم بمثابة جزء من زهم الرسمي

ولما أخذ شأن الكهنة يعلو وعظم في أعين القوم، وازداد عددهم وعظمت قوتهم في عهد الدولة الوسطى، شرعوا يوجهون عنايتهم تدريجاً لجل ملابسه تدل على أنهم طائفة خاصة متميزة عن سائر بني الانسان، وبقوا كما بقى فسادة المهدي الحالي محافظين على ملابس المصور الأولى للساذجة متجنبين

طريف الازياء ، وتخلوا في الوقت نفسه عن التحلي بالشعر للمستعار ، الذي كان اذ ذاك لا يرى السائد ، ومشوا في الطرق علقين ودوسهم عفاضة على النظافة وفي المصور للتأخرة بقي الكهنة متمسكين بهذه الظواهر بشدة عظيمة اكثر من قبل . وذلك في وقت كانت المحافظة فيه على الآداب من الأهمية بمكان ، اذ كانت روح القومية في التزع الأخير وكان القوم يعملون بشدة على أحيائها باتباع عوائد أجدادهم القديمة

عماظتهم من
التدريج

وقد روى لنا هيردوت بكل صراحة أن الكهنة كانوا يخلقون الجسم كله مرة كل ثلاثة أيام ، حتى لا تأوى الحشرات جسد من يخدمون الآلهة وكذلك كانوا يلبسون أردية من الكتان وأحذية من صنع « يلبوس » ، وحرم عليهم أن يلبسوا غير هذه الملابس أو يفتعلوا غير هذه التعمال . وكانوا يستحمون مرتين بالماء البارد نهائياً وشملها ليلاً . وغير ذلك كثير من العادات التي كان يجب عليهم الخضوع لسلطانها

الكهنة
يتمسكون
بالطاعة

وقد أضاف هيردوت في هذا المقام أنه ضد وفاة رئيس الكهنة كان يخلفه ابنه في عمله . حتى أن تولت الوظائف من الأب لابن كان شائناً ، غير أن ذلك لم يكن قاعدة مطردة . ولم يحدث في أي عصر من عصور التاريخ المصري في طائفة الكهنة الرسميين أن يضطر الابن إلى أن يخدمه حدو ولده في حرفته ، ويحرم عليه الاحتراف بأي مهنة أخرى . غير أنه يرجح أن الأب (كما يشاهد في كل عصر) اذا رأى نفسه يرتفع في محبوبه المز والرخاء من جراء وظيفته الدنيوية ، وذ من أعماق قلبه أن يرى ابنه أو أولاده يتممون بها باقتفاء أثره فيها . وبهذه الطريقة يجوز أن يضمن الامتيازات أو الوظائف الخاصة بقيت في أسرة واحدة مدة أجيال

وظيفة الكاهن
م تكن وراثية

وقد كان سد حيايات الاله المنة كالترايين وبناء المعابد الضخمة ، ودفع
مرتبات طائفة رجال للدين الكثيرة العدد ، مما لا يمكن القيام به دون أن
يكون لذلك منافع ثروة وفيرة . والواقع أن القراعة اعتادوا من أول الأمر
أن يفبضوا على معابد البلاد الخيرات الجزية ويهبوها الضيع وغيرها من
الأمالك المتنوعة . هذا بالإضافة الى ما كان يتدفق من الهدايا الوفيرة الى
مناجاة في ظروف خاصة ، كالتنذر أو أن يكون الاله قد لحظ الملك
سنايته في أمر خطير الشأن

وأول عطاء وعاء التبريح من هذا النوع ما قدمه الملك زوسر (الأسرة
الثالثة) الى « خنم » معبود مقاطعة الشلال . فان لدينا وثيقة مطولة عن
هذا التنذر جاء فيها أن الفيضان انخفض سبعة أعوام في حكم هذا الملك ، فتم
البؤس ، وانتشر الحزن والأسى بدرجة قصوى في أنحاء البلاد ، وتمشى الخوف
والجزع في قلب الملك ووليجه بحالة شنيعة . ولما لم يجد فرعون مخرجاً من
هذه المناقصة لجأ الى الحكيم « المحوب » الذي صار بعدئذ عند قدميه
المصريين الله الطيب ، وطلب اليه أن يرشده عن المكان الذي « ينبع منه
النيل » وعن المعبود الذي يسيطر على تلك الجهة . ولما لم يكن في مقدور هذا
الحكيم أن يبيح فرعون على الفور رجاء أن يمهله مدة ينسب فيها كي يطلع
على الكتب المقدسة في هذا الموضوع ، ثم انصرف من عند فرعون
ولم يلبث أن عاد اليه سريعاً وكشف له عن « العجايب الخفية » عن قصة
الطريق الذي لم يره ملك من الملوك منذ عصور سحيقة . فروى أن
النيل ينبع من مدينة في وسط المياه اسمها جزيرة القيلة الواقعة على حدود
بلاد النوبة السفلى . وكان للاء عندها يسمى « الفتحتين » وهي مهد النيل .

منابع ثروة
المعابد من
الدور والقطاع

أول مدر

قصة فصل
السبع

أما إله هذه الجهة فهو للمبود « خنم » ويقع باب معبده في الجنوب الشرقى . وكذلك كان يعبد هناك الالهتان « سات » و « عنت » زوجتنا خنم ؛ هذا فضلاً عن عبادة النيل نفسه والآلهة « شو » و « جب » و « نوت » و « أوزيريس » و « حوريس » والالهتين « إزيس » و « نفتيس » . وتوجد على مقربة من هذه الجزيرة على الشاطئ الغربى ، جبال شامخة تشتمل على جميع أنواع الأحجار والمعادن الصلبة التى نلزم فى بناء كل معابد الوجه القبلى والوجه البحرى ومقابر الملوك وتحت منها كل أنواع التماثيل . والمقصود هنا بالطبع هو الجرانيت الجليل الذى كان يقطع من أقدم المعصور من المهاجر المجاورة لبلدة « سين » (اسوان) الواقعة على الشاطئ الشرقى للنيل . يضاف الى ذلك ان كل أنواع الأحجار الكريمة والمعادن من ذهب وفضة ونحاس وحديد ولازورد وغيرها كانت تستخرج من كلا شاطئى النيل ومن الجزر التى فى هذه البقعة من النهر

فلما سمع فرعون تقرير المحبوب الحكيم استأذنته فرحاً وأمر بتقريب الفرائين الى الهة والمئات الفيلة الآتية الذكر

وقد رأى الملك متناً فى اللبلة التى تحت هذا الحادث : رأى الاله « خنم » وفقاً لأمله . وبعد أن قدم اليه واجبات الاحترام والتعظيم أضاف الاله للثناء من نفسه قائلاً :

« أنا إله خنم خالقك وحاميك . أنا أعطيتك المتاجم والمعادن التى لم يكشفها أحد فى كل عصور التاريخ والتى لا تزال بكرراً ، تشبى بها المعابد وتصلح ما أفسده الدهر منها ، لأنى أنا الخالق الذى ذرأ نفسه والمحيط الأبدى الذى ظهر أزلياً ، أنا النيل الذى يفيض حينما يشاء ، أنا مرشد كل انسان فى

عمله أنا أملك التحتين اللتين منهما يفيض النيل . أنا أعرف النيل
. سأجعل للنيل يفيض لأجلك . ولكن يفيض ماؤه في أى سنة
من السنين ، وستنمو الأشجار بأثمارها من الفاكهة وستنشر أقدمة القوم
بدرجة لم تشهد في الأزمان النابرة »

وعند انتهاء العبارة السالفة اتقبه فرعون من منامه . ولما كان السرور
قد ملأ صدره لما وعد به الاله ، أصدر أمراً يوقف كل أعظم الشلال الواقع
على صفتى النيل على الاله « خنم » اعترافاً له بالجليل

ويحتفل أن أمثال هذه للنعم من الأرض كانت توجب للعابد في كل
المعصور ، غير أن ممتلكات الآلهة في العولة الحديثة ازدادت على الأخص لتمتعا
بالنصيب الأوفر من الثغائم التي كان يحنيها فراغة الأسرة الثامنة عشرة وللتاسعة
عشرة من حروبهم للظفرة مع الملك الثانية . وكانت هذه للمعابد تعتبر
بمثابة جزية يستحقها الاله الذي على يده نال فرعون النصر . ولا تزال النقوش
من عهد تحتمس الثالث وسيتي الأول باقية الى عهدنا هذا وفيها بيان للمعابد
العرونية التي قلصها الملك الى الكهنة

وبما هو جدير بالذكر في هذا الصدد ، وثيقة من أواخر حكم رمسيس
الثالث (حوالي ١١٥٠ ق.م) ، منها يستطيع الانسان أن يكون فكرة صحيحة
عن الثروة الطائلة التي كانت ملكا للمعابد المصرية في هذا العهد ، فقد جاء*
فيها أن ممتلكاتها لا تقل عن ١٠٣١٧٥ خادماً و ٤٩٠٣٨٦ رأساً من الماشية
و ٥١٣ حديقة و ١٠٧٤٤١٨ فدأكا من الأرض و ٨٨ مراكب و ١٠١/١ حوضاً
للسفن و ١٦٩ بلدة بعضها في وادي النيل وبعضها خارجه . أما أتباع المعابد

مقدار ثروة
المعابد

• ورقة مرس بالتحف البريطاني

السالفو المذكور فيحتمل ان بعضهم كان من أسرى الحرب، وبعضهم من الفلاحين الأثواء أو الصناع؛ وعليهم قلاحة الأرض، وحراسة قطمان الماشية، وكذلك كانوا يستخرون في بناء المعابد المظيمة كما كان يسخر بنو إسرائيل من قبلهم . وكان جم غفير منهم يضطرون أيضاً الى دفع ضرائب من الذهب والفضة وغيرهما من المحصولات الطبيعية . وإذا قدرنا عدد الحقول الوفيرة التي كان يملكها الإلهة فانه يحق لنا مع مراعاة النسبة ان نقرر أن جزءاً عظيماً من أرض مصر كان ملكاً للموتى

فاذا اوزنا بمتلكات المعبود آمون بالاحصائيات الحالية يمكننا القول بأنه كان يملك عشر أرض مصر وما لا يقل عن $\frac{1}{10}$ من عدد سكانها . وكان بلى آمون في القراء من الإلهة المصرية إله الشمس « رع » معبود هليوبوليس، ثم « فتح » معبود منف . ومن ذلك يتضح ان الكهنة قبضوا على جانب هائل من ثروة البلاد جعل لهم في الوقت عينه سلطة سياسية عظيمة . وكانت نتيجة ذلك تشبه ما نراه في زماننا هذا في دول العالم وعلى الأخص دولة أسبانيا*

وأصبح لكهنة آمون في النهاية النفوذ الأكبر في الدولة، حتى أنه بعد موت آخر الرعامسة لم يكن أملاهم عقبات تذكر في تولي العرش، فقام أحدهم فضلاً ونحى بوارث العرش جانباً وتلك هو تاج الملك . وهذا الحادث يند في تاريخ الكهنوت المصري قرة ما وصل اليه رجال الدين من الجلاء، وهو، وان لم تدم مدة حكمهم طويلاً، دليل قاطع على تقلب رجال الدين على الساسة؛ وكان في ذلك القضاء الأبدى على المنظمة القومية

دعيس الكهنة
يقول مرش
للك

المحاضرة الرابعة

فن السحر — الحياة بعد الموت

كان قدماء المصريين ومن جاء بعدهم من أبناء الشرق، مسلمين ومسيحيين على السواء، ممن ملأت الخرافات والمزعومات عقولهم. ولذا نرى فن السحر قد لعب دوراً هاماً في حياتهم. فكانت التماويذ للهواء الناجع الذي يطلب به كل أنواع الشرور، والعلاج الذي يشفي الأمراض، والطريقة للثلى التي يكنسب بها الحب رضا حبيبته. فإذا تسنى لشخص أن يضع تماثيل مسحورة في بيت عدوه اعتقد أن ذلك إما أن يحلب له المرض أو يسبب له حادثة. وكانت التماويذ التي تستعمل في مثل هذه الأحوال تفضل على غيرها إذا كان لها علاقة خاصة بمحادث ما وقع في تاريخ الألهة الخرافي. إذ كان القوم يستمدون أن الطرق التي استعملها الألهة وأنت بنتيجة حسنة تأتي بالنتيجة حينها إذا استخدمها الإنسان في أحوال مشابهة لها. وكان لأساطير الألهة «أوزيريس»، و«إيزيس»، و«رع»، القدح اللبي في هذا الشأن. من ذلك أنه بعد أن جمعت الألهة «إيزيس» بموت زوجها للحرز وضمت ذكراً في منافع للدلتا سمته «حوريس»، واتفق أنها ذات لبة أثناء إياها من الحقول وجدت أنها فاقد الحياة مبدلاً الأرض بدموعه وبأزيد الذي كان يتدفق من شفتيه، جسمه هامد، وقلبه لا حراك به، وجميع أعضائه فارقة بنض الحياة، ممزت هذا إلى لغة مقرب. ولم تترك الأم المحزونة البائسة ملجأً تلجأ إليه ولا عوناً تستعين به إلا إله الشمس، فلي نداءها ووقف سير سفينة في السموات،

الاعتقاد في
السحر
وقوته

إساءة

وأرسل إليها «نحوت» إله الحكمة ليخلص ابنه، فأعاده «نحوت» هذا إلى الحياة بتعاويذ سحرية. فلذلك اعتقد القدماء أن هذه التعاويذ بعينها التي شفت «حوريس» الطفل تشفى أى إنسان من لدغة العقرب

على أن أكبر قوة سحرية كانت وفقاً على الذين يسمون الاسم الخفى للاله الأعظم «رع» للوجود في كل شيء. وقد مكث هذا الاله رباً مديداً محاطاً على اسمه الخفى لا يلفه أحد غيره إلى أن تمكنت «إزيس» الساحرة العظيمة من استلاله منه بحيلة، ومن وقتئذ أصبح لها سلطان قوى وبطش عظيم. وقد وضعت كيفية وصولها إلى ذلك في خرافة قديمة. وهذه الخرافة تبعد لنا سيرة الاله «رع» الهرم رب الالهة والناس. وكان وقتئذ قد بلغ من السكبر عتياً، وذبح عنه بعض روعته وجلاله، وكانت «إزيس» بوجه خاص لا تعترف بمدى سلطانه، وترغب في أن يكون لها ما له من النفوذ والقوة في السماء والأرض. ولم تر للوصول إلى ذلك إلا طريقة واحدة، وهي أن تحفظ كل أسمائه المتعددة التي كان لا يعلها الا هو والتي بها صار له السلطان على العالم. فدفرت أحبولة لتستولى بها على هذا السر، بأن أخذت شيئاً من اللعاب التي كان يقيه على الأرض، ولا كتها بطين، وصورت منه تمثالاً، وألقته في الطريق الذي كان الاله مفرماً بالمرور به في خلال تجواله في دولته. وبينما كان «رع» متجولاً برهة أتباعه من الالهة لدغته هذا التمثال، فصاح من شدة الألم حتى بلغ صياحه عنان السماء؛ فسأله أتباعه والوجع ملء قلوبهم: ما الذي يؤلمك؟ ما الذي يؤلمك؟ ولكن لم يكن في مقدوره إجابتهم. وأخذ فسكاه يصطكان وصرى للسم في عروقه. ولما هدأ روع الاله الأعظم نادى حاشيته قائلاً: «سألو إلى يا من برأتهم من لحي، أنتم أيها الالهة الذين خلقوا

اسم الاله
الاعظم
أكبر قوة
سحرية

إزيس تحال
لمعرفة هذا
الاسم

منى . لقد الحق بي الضرر شئ . مؤذ يشر به قلبى ولا تراه عينائى . ذلك شئ لم تصنعه يدي ، ولا أعرف أى يد صنفته . وإنى لم أشعر بمثل هذا الألم طول حياتى ، وبخيل الى أنه لا يوجد مرض أشد من ذلك . أنا أمير وابن أمير أنا الذى له أسماء عدة وأشكال متنوعة ، صورتى تظهر فى كل لله . وكان أبى وأمى يتكلمان باسمى . ثم اخفاه (الاسم) الذى أوجدنى فى أعماق قلبى حتى لا يكون لأى سحر سلطان على . ولكن واعجابه ، بينما كنت متجولاً أقتد أحوال مخلوقاتى فى أنحاء دولتى لضفى شئ . لا أعرفه ، هل هو نار ؟ هل هو ماء ؟ ان قلبى مشتمل من شدة الاحتراق ، وجسمى يضطرب ، وكل فرائصى ترتعد ، فليحضر الى أبناء الالهة الذين ينطقون بالحكمة وتمتلى أفولهم فهماً وتصل قوتهم الى السماء . . .

عندئذ أتى الالهة والحزن ملء قلوبهم ، وكذلك حضرت «إيزيس» صاحبة ذلك الجرم . وهى التى تنفث من فيها ريح الحياة ، وتنشئ عزماها كل ألم ونحيبي كلماتها للوقت ، فقالت : « ما الذى يؤلك ؟ ما الذى يؤلك ايها الأب المقدس ؟ لقد جلب لك ذلك المرض ثمان مخلوق من مخلوقاتك ، قد رفع رأسه ضدك ، ولكن كل ذلك يزول أمام قوة السحر ، وسأقضى عليه امام طلعتك البهية »

ثم وصف لها الاله نوع آلامه ، فأجابته «إيزيس» : « اذكر لى اسمك ايها الأب المقدس ، فان كل من يدعى باسمه يعيش حياً . فأجابه «رع» قائلاً : أنا الذى برأت السموات والأرض ، وخلقت الجبال وكل حي عليها ، خلقت الماء والمحيط الأزلى العظيم . أنا الذى خلقت السموات وسم أقدما ، ومنحت الآلهة أرواحهم التى فى صدورهم . أنا الذى اذا خضع مينة يمتلئ العالم نوراً ، واد

أنغمضها بنعيم الظلام. أنا الذى بأمره يقبض النيل، ومع كل ذلك لا تعرف
الآلهة اسمه. أنا الذى خلقت الساعات والأيام. أنا الذى أرسل السنين، وحد
مواقيت الفيضان. أنا الذى أصنع النار الحية، «خبرى» فى الصباح و«رع»
وقت الظهيرة و«أتم» عند الغروب

يدأنة مع هذا لم تحف وطأة السم، بل ازداد الوجع وبقى الاله الأعظم
يتأمل من شدة للرض. عندئذ قالت «إزيس» للاله «رع»: «هذا الذى
نطق به ليس باسمك. أذكر لى اسمك تذهب عنك الآلام، لأن من يذكر
اسمه يعيش». ثم أخذ سمير السم يشتد لدرجة يتضائل امامها لحبيب النار.
فقال جلالة الاله «رع»: «اقتضت لوادنى أن تضعنى الالهة «إزيس»
وأن ينقل اسمى من صدرى الى صدرها»

عندئذ أخفى الاله نفسه عن الالهة، وأصبحت سفينة الأبدية (سفينة
الشمس) خاوية. وقد أخذ اسم الاله منه بطريقة غريبة، وحفظته الالهة
«إزيس». ثم كررت رقية خففت آلام السم، وحادت الى «رع»
صحته ثانية. وبذلك أصبحت إزيس، الالهة العظيمة وسيدة الالهة، تعرف
الاسم السحري الخفى لإله الشمس. ومن وقتئذ ساد الاعتقاد أن فى قدرة
أى إنسان أن يشفى سم الأفاعى بالرقية التى تلتها على الاله الأعظم

أما اسم رع الذى وقفت عليه الإلهة وقتئذ فجهول لنا. وإذا حكمنا بما
لدينا من التعاويذ التى فى المتون المصرية، لم نكد نجد حكمة عميقة مكنونة
بين ثناياها. إذ كانت القاعدة أن السحرة يتمنون ألفاظاً لا معنى لها، ويختارون
أصواتاً معينة يقصدون التأثير بترابيتها أو شذوذها

ويجمع عهد كل الفنون السحرية الى أقدم العصور التاريخية. ففى

النفوس الدينية القديمة المعروفة عند المؤرخين بموت الأهرام ، نجد الرقصة
لشفاء من لدغة الحية مثلاً قد انتشرت انتشاراً عظيماً في ذلك العهد . وفي
نهاية الدولة الحديثة عند ما تسرب إلى الديانة الفساد المستمر وصارت عبارة
عن تكرار جمل محفوظة ، أصبح السحر القدرح للملئ في حياة القوم الدينية .
فكان كلما أسرع الذبول إلى شجرة الدين المتضررة لزداد ابتاع الأعشاب الضارة
للتلطف حولها من الخزعبلات والخرافات

تنظير
والتماثل
الأيام

ومن أشهر الخرافات ما يلاحظه القوم عن الأيام . إذ كانوا يميلون
إلى الاعتقاد بأن أياماً معينة من السنة تكون سعيدة بوجه خاص ، وأخرى
يرفعها النقص . وفي وقتنا هذا يعتقد الكثيرون أن يوم الجمعة ، وهو يوم
صلب المسيح ، يوم شؤم ؛ وليس من الصواب أن يتبدى الإنسان فيه
سفرًا بعيداً أو يشرع في عمل خطير . وعلى مثل ذلك كان المصريون أيام
معدودة معلمة ، وقمت فيها الحوادث الهامة في تاريخهم الخرافي

في اليوم الأول من شهر اشير رقت السماء إلى أعلى عليين ، أي
به حدث الخلق الحقيقي للعالم ، لذلك كان طبعاً أن يعد هذا اليوم يوماً سعيداً ،
كما عدَّ يوم ٢٧ هاتور ، وهو الذي تمَّ فيه الصلح بين ست وحوريس وعندما
الأرض بينهما كما جاء في الخرافة للنسوبة إليهما . أما يوم ١٤ طوبة فبلى العكس
كان يوم شؤم ، إذ فيه نذبت الأختان ازيث وتفتيس أخاهما أزيث ؛ ولذلك
لا تُستحب فيه للموسيقى وكل أنواع الفناء . وكذلك كان عتدم أيام سود معينة
تؤثر في المستقبل ؛ فاعتقدوا أن الطفل التمس الذي يولد يوم ٢٣ بؤونة مصيره أن
يقع فريسة لقتلح . وكذلك كل من يولد يوم ٣ كهك لابد أن يصم ، وكل من
ولد في العشرين من الشهر عينه مصيره إلى العمى . أما من ولد في ١٩ بؤونة

فهو سعيد الحظ . كُتِبَ له الآيموت الأبد حياة طويلة
وقد أكد لنا « هيرودوت » كل ذلك بقوله « نُسب المصريون كل شهر
وكل يوم لإله خاص وتبينوا مصير كل فرد من يوم ميلاده : يعرفون منه
كيف يموت وماذا تكون حالته في الحياة »

ويظهر أن العرافة والتنبؤ بالنسب بالمعنى الحقيقي لم يكن لهما شأن يذكر
عند قدماء المصريين . وغاية ما وصل اليها في هذا الموضوع اشارات عرضية
الى « هتفات الآلهة » التي كانت تنبئ من تماثيلهم . ومن الغريب أن هذه
المتنصتات لم تظهر الا في عهد انحطاط الديانة المصرية ؛ ففي الأعصر المتأخرة
هتفات الآلهة بمدينة طيبة ، صار تماثيل المعبود أمون « ملك الآلهة الأعظم » هو الوسيلة
في للفصل في الأمور حتى في مهام شئون الدولة . فكان يُحمل في سفينته
على أعناق الكهنة من مسكنه قدس الأقداس . ثم يأتي عليه رئيس الكهنة
او الملك الأسئلة التي يراد الاجابة عليها ، فيجيب الاله بمركات خاصة ،
وقد يجيب ايضاً ببعض اصوات لوكلات . ولا شك ان الكهنة كانوا يعرفون
كيف يُساعد الاله في الاجابة ؛ فكانوا يتخفون لذلك خيوطاً خفية ، بل قد
يمدون لذلك آلة ناطقة يخبئونها في سفينة الاله . وكانت الأجوبة تستنطق
بهذه الطريقة حينها في معبد « زوس امون » الذائع الصيت في واحة امون
« سيوه الحالية » . زار الاسكندر الاكبر هذا المكان المقدس كما هو معلوم
للجميع ، فوصف بعض شهاد عيان من بين الجمل الغفير الذين كانوا في وليجته
الكيفية التي أخذ بها رأى تماثيل الاله : وذلك انه كان يُحمل في زورق من
خالص الذهب على أعناق الكهنة ، كما كان الحال في مصر ، ثم يسرون
بالزورق حسب لولادة الإله بإشارة منه في اى جهة شاء . وكان يسير في

هذا الاحتفال بجم غفير من النساء والبنات يرتكن آليات للدع ويُجندن اسم الاله بأشعار وورثت عن الأجيال الخالية . أما لجاية الاله فكان يمكن قراءتها من خطأ الكهنة ، إذ كان القوم يستقنون أنهم سيترن بلرشاد الاله المحمول فوق أعتاقهم . وكما كان السحر شأن عظيم في حياة المصري الدينية كما شاهدنا ، كذلك كان له مكانة خطيرة جداً في حياته الآخرة ؛ إذ كان القوم يستقنون أن كل سعادة في الممار الآخرة ، بل مجرد بقاء الانسان حياً بعد الموت ، يتوقف في الجملة على معرفة عدد عظيم من الرئي وللتماويز وكيفية تطبيقها . وكان آراء المصريين عن الحياة بعد الموت مرآة تبحر فيها اخفاهم في التفلل في دوس للسائل الدينية للوصول الى نتيجة منطقية ، كما تبحر فيها تبلبل الأساطير الدينية عندهم . ولا شك أن من لم تجد السفطة سبيلاً الى عقله يرى عادة في انقضاء الحياة فجأة سرّاً لا يقوى على فهم كنهه ، فهو لا يستطيع أن يتصور كيف ان أحد أقربائه الأعزاء كأيّه أو أمّه أو زوجته المحبوبة أو أحد اخوانه قد قضى نحبّه في هذه اللحظة الواحدة ، وفارقه الى الأبد . وما ذلك إلا لأن شعوراً قوياً بالحياة يقاوم بكل شدة تلك النظرية القائلة بفنائها وعدم بثها ثانية على الإطلاق . والواقع ان السلاوى الوحيدة التي يمكن الانسان أن ينم معها بالحياة ، هي اعتقاده أن نفسه مخلقة بالبعث مع ما يراه من موت اخوانه حوله كل يوم . وهذه هي الطريقة الوحيدة التي لا تنفر الانسان من الموت . وعلى هذا الزعم سعى قدماء المصريين كما سعى غيرهم من الأمم القديمة وكما تسمى أمم العالم الآن ، لفتح أسرار الموت وخباياه الغامضة ويجب الاعتراف بأن قدماء المصريين قد اختلقت أفكارهم في كل زمان ومكان في كيفية هذا البعث ومكانه ، فتضاربت آراؤهم في هذا الموضوع تضارباً

عأن السحر
في الآخرة

الحياة بعد
الموت

عظيماً، واختلطت كأنها كرة من الخيط اشبكت خيطانها. وكثيراً ما يجد القارئ في متن واحد بل في دماء واحد أو رقة واحدة المتناقضات جنباً لجنب. على أنه لا ينبغي أن ندهش لمثل ذلك كثيراً، لأننا لو نظرنا في موعظة من الموعظ التي يلقيها قساوسة عصرنا هذا في الجنائز، وأردنا أن نتفهم من خلال سطورها العقيدة المسيحية عن الآخرة، رأينا أملنا مورداً غزيراً من الآراء التي يجب أن نستخلص منها مرغوبنا، هذا فضلاً عن أن بعض هذه الآراء قد ورد ذكره على سبيل المجاز

تماريد
الآراء في
المتن

وكان أكثر العقائد رواجا عن البعث والنشور وأعظمها انتشاراً، بل وأقدمها عهداً عند المصريين المعقدة القائلة بأن الإنسان سيحيى بعد الموت حياة أخرى تماثل الحياة الدنيا في جميع أحوالها بدون تغيير في الشكل. فيبقى الرجل والمرأة والشيخ والطفل في آخرتهم كما كانوا في حياتهم، وموطنهم الجبانة ومنزلهم القبر. وهناك يسيطر الرجل على زوجته وأولاده، ويخدمه خدام من الذكور والأثلاث. وكذلك يتاح له في حياته الأخرى كل ما كان يحلب عليه الفرح والسرور في دنياه. ومن الضروري له قبل كل شيء أن يأكل ويشرب، فحياته الآخرة موقوفة على ذلك كما توقفت عليه حياته الأولى؛ وبدونه يماني ألم لجوع وحرقة للعطش. وإذا أراد اقتله نفسه من الموت اضطر إلى حفظ ريقه بأفصح الأوساخ والافذار، وذلك بلا مرء موت فإن

الحياة الآخرة
كالحياة الدنيا

وكما احتاجت الالهة أن تزود بالقرابين من للأكل والشرب، كذلك كان الحال مع الأموات. فكان أول واجب على أهل الميت أن يقدموا له كل ما يحتاج. وكان أهل اليسار من الاقدمين يحبسون المال على قبورهم، وينصبون للكهنة لأداء القرابين اللازمة لها. أما الأشياء التي كانت

المحصولات الطبيعية تعجز عن ادائها فكان يسمى الى قضائها بالسحر والصلوات . هناك الميت من ذلك أن أربعة الهة ، (وهم للسعون أولاد حوريس) كانوا يقومون بحراسة احشاء الميت واسباب الجوع والظلمة عنه . وكان من واجب كل مؤمن بمر بغير أن يذكر صاحبه بخير ، وكانت الكتابة التي على كل قبر تتطلب من المارين قراءة تعويذة الترحم التي تضمن للميت مورداً من الأكوالات ، وهي كما يأتي . الف أبريق من الجبة ولف وغيف من الخبز ولف رأس من اللاشية ولف أوزة لروح فلان

وكان الأموات يلقون مجتمعاً خاصاً بهم في ما واهم الأخير وسط الصحراء ، وموقعه مادة في الجبهة للترية على شاطئ النيل الأيسر ، ولهم الله خاص يحكمهم . وقد جرت العادة أن يكون الله الجبهة هو المسيطر على الموتى أيضاً أي الحاكم « على أولئك الذين يطمنون للرب » . فكما كانت مقاليد أمور الأحياء موكولة اليه ، كذلك كانت شؤون الموتى في رعايته ، ويسمع لرعاياه الأموات أن يشاطروه القراين التي توضع على مائدته . وكان هناك عدة مدن اختصت الموتى فيها بألحمة معينة . ففي مدينة منف كان الله الموتى يدعى « سكريس » ؛ كما كان يحرس جياتها الاله انريس الذي ظهر في شكل ابن آوى . ولما كان من عادة هذا الحيوان الطواف حول الجبانة ليلاً ، كأنه الطيف في الصحراء يحرس القبور ومن فيها في ظلمات الليل ، اعتقد المصريون ان الاله يفضل ذلك أيضاً ممثلاً في هذه الصورة حينها . غير أنه منذ الأعصر الأولى تضادت كل ألحمة الموتى حتى صارت كأن لم تكن ؛ وحل عليها الله واحد أصبح من ذلك الوقت الله للموتى العام في كل مصر ، وهو الرئيس الأعظم لأهل للرب « أزريس . وستناول الكلام عليه بعد

عالم الموتى
وآلهتهم

وكان المصري يعتقد أن الليت لا يبقى سجيناً في قبره العظيم بل يكون حراً أثناء النهار، ينادر قبره الضيق ويتجول كيف شاء على الأرض. ولكن كان لا بد له أن يأخذ الحذر لنفسه مخافة أن يتغص عليه أعداؤه للؤذون من الأفاعى السامة والخماسيح والمقارب، فكان لزاماً عليه أن يتسلح بالتماويذ السحرية التي تقيه شر هذه الأعداء

وقد يصطدم الليت مع الأفراد الذين لا يزالون في مية الشباب، فيحصد الأحياء على سعادتهم، ويسعى في جذبهم إلى حافة الموت ليصيروا له خلاناً جدداً في التربة؛ وكان يعتقد نجاحه المآجل في المكان الذي يجنم فيه المرض، لذلك كان ظهور الليت فيه مدعاة للخوف والفرح. فكانت الأم المحزونة القلب تراه يفسل إلى الليت بوجه متحول وهي جاثية بجانب فراش طفلها المريض فتضاطبه بكل جسارة قائلة:

هل أتيت لتقبل هذا الطفل؟ أنا لا أسمع لك أن تقبله

هل أتيت لإسكاته؟ أنا لا أسمع لك بإسكاته

هل أتيت لتلحق به الأذى؟ أنا لا أسمع لك أن تؤذيه

هل أتيت لتأخذه؟ أنا لا أسمع لك بأخذه

وكانت الأم تنرف دواءً وإيقاً تطليه لطفلها، يدخل في تركيبه: أعشاب، وشهد، وعظام أسماك. فإذا ما رأى الليت هذه العقاقير هلع فرحاً وولى الأدبار

وأحياناً كان القاصي الأكبر الذي يدفع الليت إلى وجوده بين الأحياء، هو حب الانتقام منهم، فكان جل همه أن يصب عليهم كل أنواع المصائب وبخاصة المرض. واتفق أن ضابطاً قد تزوج ولم يمض طويل زمن حتى لازم

الليث خارج
قبره

ميل الليت
لأحد الأحياء
أو ابتاعهم

الفراش ، فأخبره أحد السحرة أن مرضه هذا يحتمل أن يكون من عمل
الراحلة العزيرة

فكتب لها رسالة ووضعا في قبرها . وهي مؤثرة في بابها وغريبة في
نوعها ، وهما نصها :

أى جرم اقترفت منك حتى أمير في مثل هذا الشقاء

ما للذى فعلته بك حتى تسلط على يديك الآن ؟

رسالة مرسى
الى زوجته
المرقاة
يستطع

هل علمت شيئاً أخفيت عنك منذ أصبحت زوجك الى هذا اليوم ؟

تقد صرت زوجتى منذ كنت لا أزل في مية الشباب ، وكنت دائماً

يحانبك

ولما قلبت في أنواع الوظائف والأعمال المالية بقيت كذلك غطفاً لك ،

ولم أتركك أو أدخل على قلبك الحزن

ثم اذكرى أنى حيناً كنت ألقى التلطيات على ضباط فرعون من

المشاة والمحاربين في العربات كنت آمرهم أن يقتربوا منك ليصارح الواحد

منهم رفيقه أمام عييك . وكذلك كانوا يحضرون كل شئ طرف

ويقدمونه لك .

ولما حل بك المرض ذهبت الى رئيس الأطباء فجهر لك الدواء وأدى

كل ما ترغين فيه . ولما أراد فرعون مصر أن أرحل منه الى الجنوب كان ظي

وفكرى معك

وبقيت مدة ثمانية أشهر الى فارتك فيها لا يهأ الى طعام ولا يلد الى

شراب . ولما عدت الى منف (وفى خلال هذه المدة توفيت للراة) ورجوت

فرعون في العودة إليك ، فجئت هنا ، وحزنت وقتئذ أنا وسائر أهلي عليك
حزناً شديداً ألام بيتي »

وفي اعتقادي أنه ليس ثمة حاجة الى زيادة شيء على هذه الصورة
الغلاية للقرية ، كما أنه لا حاجة لتصوير فكر للمصري وشعوره بأكثر مما جاء
في هذه الرسالة من الوصف الجليّ الحقيقي

واعتقد المصريون ككثير من أمم العالم الأخرى (كالأغريق) ان
مخلوقاً آخر محسوساً يأوى جسم الانسان ولا يرى في الحياة الدنيا . تلك هي
الروح وقسى عندهم « بلى » . وكانت تلازم الجسم دائماً في الحياة الدنيا
وتفارقه عند الموت . وقد ألف المصريون تمثيلها بالطائر مالك الحزين ، ثم
مثلوها في العصر للتأخرة بطائر له رأس إنسان فيه ملامح التوفى . وقد نقل
اليونان عن المصريين تلك الطيور التي تمثل الروح ، وكثيراً ما ظهرت صورها
في الفن الأغريقي

وكان لا ينبغي أن تبقى هذه « الروح الحية » بعيدة عن جسم صاحبها
حراسة الروح بعد الموت ، بل لا بد من تركها حرة لتعود الى حجرة التوفى وتبقى مع الجسم ،
وخاصة أثناء الليل حينما تحوم الشياطين حول الجبانات . ولهذا السبب كان
من الضروري للروح أن تستطيع تمييز جثتها من بين الجثث المدفونة
بمحاورها ، وتحقيق هذا الفرض بذل المصري مجهوداً عظيماً

وكان الانسان في نظر المصريين يشتمل على أجسام ثورية غير الروح ،
ويعتدروا أن نحمد باليقين علاقة هذه الأجسام بالروح ، وإنما نعرف أن
الكاهن أهمها « الكاهن » ورد ذكرها كثيراً في التون الدينية . وفي اعتقادي أنها
ليست كما يزعم الكثيرون صورة ثورية من الانسان أو مظهر آخر له ، بل

هي ملكة أو جنية تحرسه . وتولد « الكا » مع الانسان ، وتراقبه طول حياته من غير أن ترى . وتحرسه بعد مماته

ذكرنا آنفاً اعتقاد المصريين أن الميت يستطيع مفارقة قبره نهائياً ، بل اعتقدوا أنه يقدر على أكثر من ذلك ؛ فكان في قدرته أن يتشكل بأشكال مختلفة حسب رغبته ، فيتحول الى صورة أى مخلوق أولاد ، غير أنه كان لزاماً عليه أن ي صرف التعميدة السحرية الملائمة للصورة التي يتحولها . فكان يتحول الى بومة أو صقر أو ملك الحزين أو كبش أو تمساح أو زهرة بجمود تلاوة التعميدة

ولا مشاحة في أن علماء اليونان الذين قدموا الى مصر في الأعصر المتأخرة في طلب الحكمة من معاهد مصر الدينية وقضوا على هذه الأفكار والآراء . ولا يبعد أن فكرة تعمص الأرواح التي كان يؤمن بها فلاسفة هذه أمثال فيثاغورس وأفلاطون يرجع مصدرها الى قدماء المصريين . على اننا اذا بحثنا النظريتين من أصولهما نجد أنهما يختلفان تمام الاختلاف . فكان المصري يعتقد أن الروح أو للتوفى نفسه يمكنه أن يتشكل بأشكال مختلفة . أما العقيدة الاغريقية فهي كالفندية تقول بأن هذا الشخص سواء أكان في حيوان طيب أم خبيث لا بد منه للروح بعد الموت ، اذ هو بمثابة تطهير تكفر به عن الذنوب التي اقترقتها في الحياة الدنيا

ومع ما يحيط بكل ذلك من الآراء الموهشة فاننا نجد بينهما رأياً واحداً ثابتاً وهو العقيدة بأن للتوفى وروحه مكانا يسكنان على الأرض . بيد أن هناك رأياً آخر يرجع الى عهد القطرة يقول أنهما يسكنان السماء ، ولا غرواية فان الانسان بلا عيشه من قوة الخيال كان يتخيل أرواح اللقى في الأجرام السماوية

تتشكل الميت
بقوة السحر

تعمص
الأرواح
مكرة مصرية
قديمة

تصاب الآراء
في مصر الموق

التي يخطتها المد والساطعة بأفوارها في القبة الزرقاء العجيبة . أما فرعون فإنه كان يمتاز بأخذ مقدمه بمد اللوت في سفينة الشمس ، ويسبح بين نجوم السماء ويميش عيشاً رغداً كاله الأفق (الشمس) نفسه . وعلى مر الأيام أصبحت هذه الميزة شائعة ، فصار في استطاعة كل انسان بمد اللوت أن يرافقه إليه الشمس خلال سياحاته في القبة الزرقاء .

وهناك رأى آخر مبين جداً لما سبق : وهو أن المتوفى كان يقبل في السماء مع طائفة الآلهة ويميش عيشة سعيدة بينهم . غير أن دون الوصول إلى ذلك عقبات حجة ، أولها صعوبة المطلاع التي كان يرقى به الميت إلى السماء ، فكانوا يتخيلون الميت في هيئة طائر أو جندب ساجح في الأثير إلى السموات العلى . وأحياناً كانوا يصورونه صاعداً دوج سلم منغم نصب في الثرب كأنه عمود موصل بين السموات والأرض تحرسه الآلهة والالهات ليل نهار . غير أنه لم يكن في استطاعة أي فرد أن يضع قدمه على هذا السلم ما لم يعلم التعويذة السحرية الخاصة به . فلا يمكن للميت البدء في الصعود قبل تلاوتها . ومع ذلك فإن السلم نفسه لم يكن ليسلم من الأخطار ، إذ قد تزل قدم الميت فيموى إلى الحضيض ، اللهم إلا إذا أخذت يده الهة رحيمة تداعده وقت الخطر وترفعه إلى أعلى . وهذه كانت كذلك تدعى بألفاظ سحرية . وعند ما يصل المتوفى إلى نهاية السلم تفتح له أبواب السماء العظيمة ويدخل في العالم العلوى . وهذا لا يختلف عن العالم الديوى الذي ظنوه ، فإنه يرى منبسطاً أمامه وادياً مستطيلاً يحترقه نهر عريض يتفرع منه عدة ترع وبحيرات . بيد أنه كان لا يزال أمام المتوفى سفر طويل حتى يصل إلى مقرة الآزلي . فكان محملاً عليه أن يمر بجملة بحيرات ليتطهر بمائها ويمتاز عدة ترع وفروع من النهر . ولما كان المتوفى

كعب يمد
المتوفى إلى
السماء

لا يملك زورقاً يحتاج به تلك للترع والتهيرات ، كان يضطر بطبيعة الحال أن ينادى عند كل مجاز نوى الجهة بواسطة صورة تشتمل اسمه السرى والصوتى مقران رئيسيان في السماء ، وهما « حقل القربان » و « حقل البردى » وكانوا يقطنون في هذين المكانين بصفة ملائكة النور ، ويصم الناس مخلوقات أرفع منهم درجة أى كأصناف للذة . أما فرعون المتوفى فكان مكانة الموتى لا يزال ذا مكانة عظيمة في عالم اللوق . فانه بعد مماته يصير ملكاً مرة أخرى نحى الالهة أنفسهم الروس لملته اجلالاً واحتراماً . وكان يجلس على عرش الملك ويتسلط الصولجان والسيف رمزاً لالة من الجلالة والشرف يستغل للمتوفى في حقل البردى بفلاحة الأرض التي هي أحب الحرف في مصر على ان هذا القلاح للنم (للمتوفى) يحى من عمله هذا ثمرة عظيمة تختلف اختلافاً كبيراً عما كان يحى في الحياة الدنيا . فالنصح نحو الى ارتفاع سبعة اذرع ونصف ، والنسبة وحدها تروى على ثلاثة اذرع ونصف . فكان الموتى يمدون الأرض ويمدرون البذر وضمون الحصاد ويحزنونه ، ثم يلهون بلعب النرد في نهاية اليوم بعد الفراغ من العمل تحت ظلال شجر الجيز وكان المصريون أيضاً يستمدون بوجود عالم سفلى تسكنه اللوق ، وهي عفيده ثالثة تضارب مع العقيدتين السالفتين القائلتين بوجود مأوى الموتى في الأرض والسماء . وذلك انهم اعتقدوا ان تحت السالم للمستوى عالم آخر يسمى «دوات» ، هو كصر ، يحترقه نهر وعلى كلتا حافتيه ممرات طوية وكهوف عميقة يتجدها اللوق مساكن لهم . فترى في خلال النهار قاعة قبراء يحجم عليها الحزن والكآبة ، حتى اذا ما حل الظلام وتزلت الشمس في الغرب خلف تلك الجبال الخرافية (منو) سطع نورها على اللوق . وعندئذ يشاهدون بهاء نور

وع وجلاله . ويسبح للوحي الذين في حجرتهم وكهوفهم بحمد الشمس ، وعند ما يشاهدونها تفتح عيونهم وتغلق قلوبهم غبطة وسروراً . وكذلك يصيحون فرحاً عند ما يرون جرم الشمس في أقفهم

وقد وُصفت سياحة الشمس الليلية في العالم السفلي وصفاً بديعاً مسهباً في الأعصر المتأخرة ، وأضيف إليه كل الزوائد التي كانت تتنازعها معتقدات سادة الشمس في العالم السفلي

يحرى في وسط العالم السفلي نيل سفلى ، يسبح فيه الله الشمس ذو رأس الكبش يحيط به حاشية كبيرة من الآلهة ، وقطن على ضفتي هذا النهر الجن والشياطين وكل أنواع المخلوقات الشنيعة التي كانت تحبى إلى الشمس وتندأ عنه أفعاده . وكان العالم السفلي مقسماً على مدى طوله إلى اثني عشر اقليماً ،

وهذه الأقسام مقابلة لساعات الليل الاثنتي عشرة . ويفصل الأقاليم الواحد من الآخر بوابة ضخمة تحرسها ثمانية غلاظ . وعلى مقربة من كل مدخل عالم السفلي وحراسها

ثعبانان يفتشان نارا حامية والحان لحماية البوابة . وكان لا بد لآله الشمس من معرفة أسماء هذه الثعابين والشياطين المختلفة ، لذك كانت لا تقادر تلك البوابات

حتى يهزم بأسمائها ، واذا ذلك تفتح البوابات ويمر زورق الشمس لى اقليم جديد وكأوا يستعدون ان طامة البشر يسكنون في العالم السفلي على هيئة أشباح ،

يحيطون لله الشمس ، ويمحزون زورقه أحياناً في ماء النهر الضحضاح كما يحدث ذلك عند انخفاض نيل مصر . أما فرعون للتوفى فكان يتخذ مقدمه مع آله

الشمس في زورقه ، بل الواقع أنه كان يصبح مثله ، واذا ذلك يسمح له بالاشتراك معه في سياحته الليلية العجيبة ، على شرط أن يكون على علم بأسماء الشياطين

والثعابين السرية . ولأجل أن يزود بهذه المعلومات جرت العادة في عهد الدولة

الحديثة أن ينقش على جدران المقبرة بيان موضع بالصوره شامل لكل ما
 في العالم السفلي. وقد قصر ذلك في بادئ الأمر على الملك، ثم ظهروا القوم
 فيما بعد، حتى سرى الاعتقاد أن كل ميت يمكنه أن يرافق الله الشمس في
 سياحته الليلية أو يقوم بها نفسه كأنه الله للشمس، بشرط أن يكون مسلحاً
 بالتماويذ السحرية الخاصة بذلك، وأن يكون معه في غيره وصف دقيق
 للعالم السفلي

على أن تلك الأفكار التي جمعت بين السهولة والتنفيذ والبساطة والتسليم
 ما لبثت أن تأثرت وزادت ما فيها من الزنايا من جراء انتشار العقيدة الخاصة
 بالاله أوريس. ولا إخال القارئ إلا ذاكرة أن الآله أوريس قتل يدا أخيه
 ست الشقي، ثم قام ابنه حوريس بنأرله، فهزم الآله ست، وأطع في أرجاء
 أبيه إلى الحياة ثانية. وقد حدث أثناء المراك الذي نشب بين هذين الآلهين
 أن اقتلع ست عين حوريس ففقد هذا الآله، فكانت هذه المدة العظيمة
 أكبر عامل في أحياء أوريس. على أن حوريس اضطر إلى استئصال عدد من
 التماويذ والطقوس ليتسنى له أحياء والده تماماً. وفي نهاية الأمر عاد أوريس
 إلى الحياة، وأصبح مالكاً لكل قواه الجثمانية، وفي قدرته أن يتكلم ويأكل
 ويشرب. وقد ترجع على عرش الملك ثانية، غير أن سلطانه لم يقتصر هذه
 المرة على العالم الديوي بل امتد قوته على «أهل التراب»، أي أنه أصبح
 مسلطاً على أهل النيم من الأموات

وهناك أنشودة عميقة لأوريس في هذا الصدد

يا أوريس، ما هو حوريس قد أتى، وهو يضمك بين ذراعيه، وقد جعل
 نحوت (اله القمر) يطرد رفاق ست ويأتي بهم أسرى أمامك. وهو الذي

جعل قلب ست يرتعد أمامك فرقا، لأنك أعظم منه ان إله الأرض
 « جب » يشاهد جلالك ، ويحلك في مكانك ، ويحضر أختيك اوزير
 وقتيس الى جانبك (اذ هو والد اوزير ايضا) . أما حوريس فيجعل
 الآلهة ينضمون اليك ، وراقصونك ، ولا يعتمدون عليك ؛ وكذلك يجعل
 الآلهة يطلقون سراحك . ويضع جب قدمه فوق رأس عدوك الذي يرتعد
 خوفاً منك . ويضرب ابنك حوريس « ست » ويأخذ منه ثانية عينه
 (التي كان قد اقلعها ست) وقدمها اليك حتى تكون قوى البطش بها أمام
 الملائكة (أى للموتى) ويحملك حوريس تهزم أعداك وتهزم
 حوريس ست ويرى به تحتك فيحملك وهو يزول فرقا كما تزول الأرض ،
 والواقع ان تاريخ اوزير الخرافي كان يباد باستمراره على الأرض مع كل
 فرعون من الفراعنة : وذلك ان فرعون كان يستبر نفسه قد حكم الناس وأسمد
 رعاياه ، ثم وافته الموت كما وافى اوزير على يد أخيه ست . وكان يرى في
 ابنه وخليفته على الأرض متقماً له ، من واجبه كحوريس أن يميد والده الى
 الحياة ثانية . ويسهل عليه القيام بذلك اذا استعمل التعاويذ والطقوس الدينية
 القديمة التي استعملها حوريس ؛ وبذلك يفوز فرعون للتوفى على كل أعدائه
 ويصير هو نفسه اوزير وترفعه الآلهة على عرش الملك في عالم الموتى

أشود
اوزير

مرعون
وخليفته
كادوس
وحوريس

أما مكر ملك اوزير في الآخرة فلم يعرفه قدماء المصريين أنفسهم
 بالتحقيق ؛ فقد ظنوا أولاً انه في جهة معينة لم يعرف موضعها باليقين ، ثم
 تصوروا أخيراً انه في الغرب على وجه عام ، كما اعتقدوا أيضاً انه في السماء في
 حقول أهل النسيم ، أو في « دولت » وهي العالم السفلي تحت الأرض
 وكانت قصة اوزير وثجة جداً بين الناس منذ المصور السحيقة . وأخذوا

سراديس

يستمدون بأن البحث ثانية كأزريس غير مقصور على فرعون وحده، بل هو
 مصير جميع للبشر؛ ولذلك أصبحت الطفوس الدينية التي سكنت مقام
 للإله وخليفته في الأرض (فرعون)، أوثناً مشاعاً لكل متوفى؛ وصار في الامكان
 حمل كل انسان أزريساً بواسطة التعاويذ الخاصة، فينتقل بذلك الى حياة
 أبدية سعيدة

يبدأ أتنا تقطع قدماء المصريين حقهم ونحط من قدوم الخلق اذا تخيلنا
 أن مصير الانسان بعد الموت كان في اعتقادهم موقوفاً على معرفة التعاويذ
 السحرية المختلفة وتلاوتها. إذ الواقع أتنا نجد حتى في أقدم للتون التي يرجع
 عهدا الى المصور الأولى انه كان يتطلب من التوفى أمور أرقى من ذلك
 بكثير: فلا بد أن يكون قد عاش على الأرض عيشة صلاح وعفة، وكذلك
 يجب اذا أراد أن ينم مثل أزريس أن يوجد «صادقاً» بعد الموت. وفي
 ذلك أيضاً تتجلى الحوادث التي جرت للأمة كما وردت في أساطيرهم

من ذلك أن للشجار التي قام في عين شمس بين أزريس وست فصل فيه
 بواسطة محكمة، وقد خرج منها لأزريس منتصراً، وأعلن على رموس الاشهاد أنه
 صادق. فأصبح لزاماً على كل انسان أن يقدم نفسه الى محكمة مقدسة قبل
 أن يدخل العالم للترقى. وكلنت هذه المحكمة تتقدجساتها في «قاعة العدل»
 ويرتسها أزريس نفسه، ويحانيه اثنان ولربسون شيطاناً رجيماً يثبت من
 وجوههم عوامل الخوف والفرع: اذ كانوا يمثلون مجسم انسان رأسه رأس
 صقر أو عقاب أو سبع أو كبش أو حيوان آخر وفي يد كل منهم سكين.
 وكذلك كانت أسماؤهم مخيفة فتها «ملتهم لهم» و «عين الخبيب»
 و «كاسر النظام» و «ساق النار» و «لاوى الرأس» و «آكل الظل» الخ

الاحلاق
 العاصلة
 ودمورها
 التنوي

محكمة
 أزريس

وكان من المضمّن على التتوفى أن يتنى قتيلاً قاطعاً أمام كل من هؤلاء القضاة
أنه ارتكب أى جريمة ، فيقول : « أنا لم أفعل ما تمنّته الآلهة ، أنا لم أترك
أحدًا يقتلنى مرارة الجوع ، أنا لم أحض على القتل ، أنا لم أسرق للثرايين التى
قدمت للآلهة ، أنا لم أقتل . فاذا كان فى قدرة التتوفى أن يتنى عن نفسه هذه
الخطايا وهو مرتاح الضمير ، يقوده الإله انيس عندئذ الى القاعة التى يجلس
فيها أوزيريس . ثم يوضع قلبه فى كفة ميزان عظيم وفى الكفة الأخرى توضع
علامة العدل ، ويسجل الإله تحوت براءته من الخطايا . غير أنه كان يجلس
بجانب الميزان فرس بحر هائل مستعد لالتهم القلب اذا خف وزنه . فاذا
اجتاز التتوفى هذا الحساب بسلام فتمه حوريس الى أوزيريس كما يقدم أحد
عمال القصر الملكى فرداً من الرعايا الى حضرة الملك . فيسمح له أوزيريس ان
يسجل فى عالم النعيم وصير من أتباع الإله الأعظم

وقد جمعت كل الحكمة الخاصة بالحياة بعد الموت من أول عصور التاريخ
المصرى ؛ وأقدم هذه المجموعات هى « متون الأهرام » التى يرجع تاريخ بعض
فصولها الى ما قبل ابتداء فجر التاريخ . وقد أطلق عليها هذا الاسم لأننا وقفنا
على أقدم صورة لها من أهرام ملوك نهاية الأسرة الخامسة وملوك لأسرة
السادسة . وفى عهد الدولة الوسطى ظهرت مجموعة أخرى تسمى « كتاب
الموتى » ، وكانت كثيرة الانتشار جداً

وقد وقفنا على وصف سياحة الشمس أثناء ساعات الليل الاثنتى عشرة
من « كتاب ما فى العالم السفلى » ومن « كتاب البوابات » ومن كتابات
أخرى ، وما ذلك كله الأجزاء متبيل من الآداب الواسعة الخاصة بالموتى عند
المصريين . وليس من مقاصد هذا الكتاب الكلام على جميع الكتابات التى

وصف سياحة
الشمس

متون الامرام
اكتتاب الموتى

من هذا النوع أو شرح النظريات التي تشتمل عليها، إذ إن هذا يمدنا عن العرض
المقصود. أضف إلى ذلك أنني إذا أوجيت العنان لنفسى في هذا للوضوح
أخشى أنه مما قليل يستولى عليكم اللال والسآمة

ولا جدال أننا نرى في كل مكان آثاراً تنهى عن الجهد التي كان يبذلها

المصريون لضمان الحياة بعد الموت، وتهيئة كل الأسباب لحياة الروح، غير ^{المعنى بح} الحياة الدنيا،
أنه لا ينتج من ذلك ما ذاع من أن المصريين كانوا يحضرون الحياة للدينا،
وأنه لم يكن لهم م مدة حياتهم إلا الاستعداد للآخرة، إذ الواقع على عكس
ذلك فإنه قل أن تمر على شيء في شعور القوم وأفكارهم يثلب فيه المبل إلى
الموت، ولعلك يكون من الشواذ إذا عثرنا على مثال كالأق حيث نجد فرداً
راغباً عن الحياة ومرحباً بالموت كأنه صديق :-

« يقف الموت اليوم أمامي كما يرى المريض من سقامه، أو كما يخرج الإنسان
ساعياً على قضيته بعد مرض أقدمه، يقف للموت اليوم أمامي كالرائحة الزكية، أو
كما يجلس الإنسان في يوم وق نسيه تحت قلاع المركب
يقف للموت اليوم أمامي كأنه يجري من الماء أو كما يعود الإنسان إلى
وطنه من سفينة حربية

يقف الموت أمامي اليوم كرجل اشتاق إلى رؤية بيته بعد أن غاب عنه ^{مثال مردى}
لكرامة الحيا
سنتين عدة في الأسر»

ثم ترى هذا الرجل بينه وبين من تخلص من الحياة الدنيا وبلغ
السعادة بالموت إذ يقول :

« إن من مات سيصير في دار الآخرة المأخيا يقاب من ارتكب ذنوباً،

ان من مات سيقف في قارب الشمس وأخذ أحسن ماله وطاب في المآب »

غير أننا نؤكد مرة أخرى ان هذه الأمثلة للنبذة عن عواطف لاكتساب لبيت سوى أمثلة فردية لا يستدبها . فان عامة الناس في مصر كما في غيرها من البلدان « يحزنون عند ما يفكرون في الدفن ، وهو عندم أمر تُذرف من أجله العين الدموع ويكتب له القلب »

وكذلك كان يحزنهم ان « الموت يتزع الفرد من بيته ويرى به على الروابي . فلن يعود ثانية لي شاهد الشمس » . وانه مهما شيد الانسان قبراً ثميناً من الجرانيت والحجر الجيري وجهزه بكل ما يلزمه ، فان ما على مائدة قربانه سيكون أقل ثلاث مرات مما على مائدة من كان بلا مأوى ، أو من أنهكهم الضنى فأتوا في الطريق ولم يتركوا خلفاً وراءهم

فذلك لم يكن أمام الانسان الآتى « واحد يفعله : » يتمتع بالحياة ويعتق سبل السرور ويتلقى المموم « ، اذ لا حزن ولا ضحايا ولا طقوس يمكنها أن تبعد الى البيت ثانية متاع الحياة الدنيا المسر على
التمتع بالحياة

وإنما نجد هذا الغزى في انشودة أخرى قديمة مشهورة جداً كانت تنشد في الأعياد للمأتمية :

« ان الالهة (أى الملوك) الذين عاشوا في الأعصر الخالية يضطجعون الآن في أهرامهم . وكذلك الأشراف والحكام مدفونون في أهرامهم وكذلك الأشراف والحكام مدفونون في أهرامهم

لما الذين شادوا لأنفسهم بيوتاً فقد أصبحت كأن لم تكن وإخالك ترى ما أصابها ولم يأت احد من قبلهم ليخبرنا ماذا حدث في امرهم

أو يذكر لنا كيف حلّم حتى تظلمن قلوبنا . فلك يجب عليك أن لا تنسى
أن تكرم نفسك ، وتعتق قولك وتعتق هواه ما دمت حياً ، إلى أن تنهب إلى
المكان الذي ذهبوا إليه . فطمر رأسك ، وارثد أحسن لللباس ، وذلك جسمك
بأعجب الروائع الالهية

جعل نفسك وبرز في أحسن وأبهي منظر يمكنك أن تظهر فيه .
ولا تجعل للكآبة سبيلاً إلى قلبك

اتبع ما يحلّ عليك قلبك وسرور نفسك ما دمت على قيد الحياة .

لا تذكر قلبك إلى أن يوافيك يوم الحزن

ولا مشاحة أن من وقفت حركة قلبه لا يسمع حزنك ، وكذلك من يرفد
في مخدعه الأذى لا يدرك عويظك

لذلك اجعل لك يوم سرور وكن فيه طلق الحياء ، فإن الانسان لا يأخذ
متاعه معه في الآخرة ، بل أن من مات لا يسود إلى هذه الدار ثانية »

مترى أيها القارئ أن حب الحياة للدينا ، رغم كل ما كان ينزل من ضروب
السحر وأفانين التعجيب والتخيلات في سبيل الحياة بعد الموت ، لم تنطفيء
جذوته حتى عند المصريين ؛ فظنهم مع مبالغتهم في الاعتناء لإيمان عدتهم بالحياة
الآخرة لم ينسوا ذلك للشعور السليم للقاتل بأن « الحياة أحسن شيء بين
الأشياء الحسنة »



المحاضرة الخامسة

القبور والفن

الديانة المصرية خارج مصر

تكلمت بإيجاز في محاضرتي الأخيرة عن معتقدات المصريين في أشياء الآخرة، وعن آرائهم في الحياة بعد الموت. ويجدر بنا الآن أن نلاحظ كيف أن هذه المعتقدات كان لها أثر فعال جداً في كل عادات القوم المأثمة. ^{أثر المعتقدات في العادات المأثمة} فإن من نتائجها تلك للقبور الملكية الأركان الضخمة البقايا التي لا تزال موضع إعجاب العالم إلى يومنا هذا؛ وكذلك العناية بتخطيط الأجسام، والمطايا الوفيرة التي كانت توضع مع التوفى في مضجعه الأبدى. وسيكون بحثنا هنا في دائرة عادات كانت بطبيعة الحال عرضة لتغيير عظيم في انتقالها من قرن إلى قرن ومن إقليم إلى إقليم. فلم تكن العادات المأثمة في الدولة القديمة كما كانت في أيام الاسكندر الأكبر. ولم تكن يحتفل بها في الدلتا بالطريقة التي كان يحتفل بها في إقليم الشلال « سيني » الواقعة في جنوب مصر. الأنصى وغرضي الآن أن ألقت نظركم إلى بعض نقط في هذا الموضوع الذي يعتبر أعظم فروع العلوم المصرية إمتاعاً، حتى يتسنى لي شرح الطريقة العملية التي بها أبرز المصريون معتقداتهم عن الآخرة

كان أول غرض يرعى إليه المصريون أن يحافظوا على الجثة في مضجعها الأخير، وذلك بأعداد مخدع حقيقى للتوفى. وكان ماء التقيضان أكثر ما يخافونه، ويعتبرونه أكبر عدو للقبور بعد اللصوص والنشالين الذين كانوا يخدنون المقابر والجبايات مسرحاً للتهب والسلب. لذلك كان من أهم

الأمر لديهم أن يتحاشوا دفن الميت في بقعة وطية ، فيختاروا للمقبرة العناية باختيار المرتفعات والآكام في أراضي الصحراء الرملية أو المصخرية . وكثيراً ما يقال أن قدماء المصريين لم يدفنوا موتاهم على الشاطئ* القربى القليل إلا لأنه الأقليم الذي تقرب فيه الشمس . وفي اعتقادي أن هذا رأى غير صحيح . حقاً كانت الجبانات العظيمة في مدن منف والمراية المدفونة وطيبة وسينى (اسوان) تقع في جهة « امتنت » أو إقليم الغرب . غير أنها في مدن أخرى كتل المبارنة وأخميم كانت تقع على الشاطئ* الشرقى ، شرق مدينة الأحياء . ومن ذلك يتضح جلياً أن أحوال المدينة كان لها السخل الأكبر في انتخاب الموضع الأسمى المتوفى حتى يكون أوفق مكان وأبعد عن الخطر ، وإذا رأينا في للتون المصرية أن كلمة « الغرب » مرادفة لكلمة جبانة ، وأن الموقى يمر منهم « بأهل الغرب » ، فنلحق أن هذه التمايز اخترعت أولاً في مدينة ماء ، ويحتمل أن تكون المراية المدفونة ، التي اتفق قديماً أن جماعة الأموات كانوا مدفونين في هذه الجهة الخاصة منها

وأقدم ما عرف لدينا من القبور حفرة مستطيلة ساذجة ، كانت توضع أقدم ما عرف من القمامة في الحفرة ويهاط عليها الرمل ، ثم يجمع فوق ذلك كومة صغيرة من الرمل والأحجار كما تفعل الأعراب إلى يومنا هذا . ولا يرب عن القمن أن الملك كان لا يكتفى بغير ساذج مثل هذا . فكما أنه كان يرى في حياته مشرفاً على رعائيه كالمولدين الإزام ، كذلك كان من المنتظر أن يكون قبره أضخم حجماً وأعلى بنياناً من قبور رعائيه . لذلك كان يتدنى وهو على قيد الحياة في أعداد قبر له رفيع البنيان رافع للنظر* . وكان قبر الملك في أول الأمر

* يقع قبر مينا أول ملك مصرى معروف في التاريخ بالقرب من بلدة هاده

الحالية وهي قرية من المراية المدفونة (Zeitschrifts) عدد ٣٦ سنة ١٨٩٨

بناءً مخصصاً من اللبن مستطيل الشكل يشتمل داخله على عدة حجرات لا يمكن الوصول إليها من الخارج ، تدفن جثة الملك في أحدها ويخصص الباقي للقرايين التي تدفن معه . وكان يحلى ظاهر جدران القبر بحفر أبواب كاذبة عليها ، اعتقد القوم أنه بواسطتها يستطيع الملك المتوفى ترك قبره عند ما يريد ثم يرجع إليه ثانية . وعلاوة على ذلك كانت هذه الأبواب الوهمية تستعمل كموصل للقريين التي تقدم للمتوفى ، والتي يضمها قناع مسور أمام الباب الوهمي

قد الملك
ومشتلاته

وكان قبر الملك يشتمل فضلاً عن ذلك على لحود صغيرة عدة لنسائه وأقربائه بل وكلايه ، وكانت هذه تدفن في اللحظة التي يدفن فيها فرعون . ولا مبالغة إذا قررنا أنها كانت ندماءه وخلائه في حياته ، وأنها كانت تذبح وقت جنازته حتى لا يخرق الموت بينها وبينه ، وبذلك يستطيع أن يستمر في التمتع بها في حياته الآخرة . ولما ارتقت عواطف الانسان وتهذبت طباعه على مر الأيام حذفت هذه القرايين البشرية من الطقوس للأتمية ، واكتفى بوضع تماثيل اخدان الملك وجلسائه أو صورهم في قبره بدلاً من أشخاصهم

ما يدعى مع
الملك

وعلى مر الأيام ارتقت هذه القبور الساذجة للشيدة من اللبن تدريجاً حتى أخذت شكلاً هرمياً . وقد بقي هذا الشكل خميصياً بالدفان الفرعية الهرم واسمه الهرم ، ولا يزال إلى يومنا هذا رمزاً ودليلاً على وادي النيل . ومهما كان من شأن الهرم ، حتى هرم خوفو الذي يبلغ علوه ٤٨٠ قدماً وهادب ارتعاه أعلى ما صنعه الانسان ، فانه لا يخرج عن كونه كومة مائجة أقيمت فوق قبر الملك تنال الانسان في تضخيمها والتأنيق في وضعها . وقد حرت المادة أن يشتمل القبر على حجرة واحدة أو أكثر تحت الأرض ، إلا أنها كانت أحياناً تبني في جوف الهرم نفسه وتوصل إليها بمرصيق ، بمعنى بسده

بعد الدفن . أما حجرات الحرم الداخلية التي كانت تخصص واحدة منها لتابوت الميت ، فكانت في الأصل مارة من كل زينة . وقد بقيت كذلك حتى أواخر الأسرة الخامسة أي حوالي عام ٢٥٤٠ ق . م . ومن وقتئذ ابتدأت الفراصة تنقش على جدرانها متوناً دينية خاصة بالحياة بعد الموت . وهذه النقوش هي للمروفة بتون الأهرام ، وقد تكلمت عنها في محاضرتي السابقة . متون الأهرام وتعتبر أهم مصادر لمعلوماتنا عن الحياة المصرية في نشأتها الأولى . وكان ينقش الأهرام المكان الذي تقدم فيه القرابين للروح ، مع أنه كان ضمن محتويات أقدم القبور الملكية

وقد سد فرعون هذا النقص بتشييد معبد خاص لروحه في الجهة مبد الحرم الشرقية من الحرم . وكان هذا للمبد يزقن كما يد الآلهة بالكتابات والنقوش الباردة . والظاهر أن تماثيل الملك كانت توضع في حجرة خاصة بها في هذا المعبد

ولما رأى عظماء الدولة الملوك يشيدون الأهرام العظيمة ، لم يكتفوا بالمقابر الساذجة التي كانوا يشيدونها لأنفسهم ، وأخذوا يقيمون لجثثهم مقابر أمثل منها ببناءها . وكان نموذجهم أيضاً القبر الساذج الخاطى بكومة : وذلك أنهم كانوا يخزنون في أصل الصخر حجرة تحت الأرض ، يوضع فيها التابوت ، ويتوصل إليها بئر عمودي يبلغ عمقه أحياناً نحو ٥٠ قدماً ، ثم يقام فوق هذه الحجرة بناء مستطيل أملس من الحجارة أو اللبن . ويطلق المصريون الحاليون على كل المقابر التي من هذا النوع تمطة مسطبة ، لتشابهها بالمسطبة التي تبنى أمام المنازل في الأرياف . وفي الجانب الشرقى من المسطبة يشاهد الباب الوهمي الذي اعتقد القوم أن الميت يخرج ويدخل منه . ولما لم هذا الباب كانت تقدم

الفرايين على مائدة منخفضة من الحجر الجيري، وكذلك كانت تنلى الصلوات
ترجماً على المتوفى. وكثيراً ما حول هذا الباب الوهمى الى حجرة صغيرة بوضع
الباب الوهمى فى جدارها الملقى. أما فى المصور المتأخرة فكانوا يشيدون
سلسلة حجرات من هذا النوع فى داخل المسطبة

وكانت جدران هذه الحجرات تنطلى بالصور والنقوش كلها وجد الى ذلك
سبيل والقاعدة أن هذه النقوش تتعلق بالقبر أما الفرائين فخاضة للمتوفى .
الآن أن النقوش كانت تشتمل أحياناً على صور كل الأشياء التى كان يمرُّها
المتوفى على الأرض، وعلى كل الأعمال التى كان يبذل فيها ميلاً خاصاً وهو على
قيد الحياة. ولا مشاحة أن للمصرى كان يخيل اليه أن كل هذه الأشياء
المرسومة تبقى بقوة السحر، وأن فى مقدور المتوفى أن يتجمع تمتكاً فعلياً بكل
ما هو ممثل بالرسم على جدران حجراته. فهنا ترى كيف يجلس للمتوفى على المائدة
صحبة أفراد أسرته غالباً ولما له الطعام والشراب بوفرة، وليس عليه إلا أن
يسقط فزاعة ويأخذ ما تشتهى نفسه. وكذلك يرى منقوشاً على الجدار
كشوف مطولة تشتمل على كل ضروريات الحياة كالخبز والكحك والتبيد
والجمعة والقم والخضر والفواكه وكل ما كانت تتطلبه نفس أى مصرى قديم
وفى مناظر أخرى ترى الرجال والنساء من الفلاحين يحملون كل أنواع
الطعام الى قبر المتوفى. أو ترى للمتوفى نفسه يقب الصيد فى الصحراء أو
يشخص قطعان الماشية التى كان يملكها على بعض القرى أن تقدمها قرباناً
للموتى. وفى صور عدة ترى الضحايا ذاتها : ترى كيف تدبح الماشية
ويسلخ جلدها وكيف يقطع القصاب الحيوان لإرباك وهو يكبر زفيراً بالأماء
منقوشة على الجدار، وكيف يحمل الخدم أنخاذ الحيوان وأطيب أجزائها

شوش القبر
وأهميتها

الى القبر . وبذلك يمثل أمامنا صفحة من حياة المصري بشكل حي واضح حتى أنه بعد مرور تلك الآلاف من السنين ينسئ للفرد الذي يمكنه مشاركة القوم في عواطفهم ومنهج روحه بروحهم ان ينسئ بأعظم لغة وسرور من هذه المناظر

وفضلاً عن هذه الحجرة التي كان يسمح لأقارب المتوفى بدخولها ، كانت المساطب الضخمة البيضاء تشتتل على حجرة لا يمكن الوصول اليها ، وهي ما يطلق عليه الآن اسم « سرداب » . وكان ينصب فيها تمثال المتوفى وورقة زوجته وأولاده غالباً ، وتعتبر الحجرة الخاصة للمتوفى في بيت الأثري . وكان يحصل السرداب عن الحجرة جداراً ، وكثيراً ما كان يحصل بين الاثنين فتحة صغيرة ليتسنى للمتوفى أن يشترك في القرابين التي كانت تقدم أمام الباب الوهمي ، ويسمع الصلوات تلي ، وينسم عير البخور

وفضلاً عن الأهرام والمساطب التي أخذ بقلدها جم غفير من السكان فيما بعد بطريقة سبق شرحها ، ابتدع الفراعنة في أواخر الدولة القديمة حوالي ٢٢٠٠ ق م شكلاً آخر من القبور يدعى هيوجيم أو « القبر الصخري » . حقاً قد نحت قبل ذلك الوقت في عهد الدولة القديمة مقابر في جوانب الجبال ، غير أنها الآن أخذت شكلاً معيناً ينطبق عليه وعلى معابد الالهة نموذج البيت العادي . فكانت المقبرة تشتمل أولاً على ساحة مكشوفة يتلوها ممر منحوت في أصل الجبل يرتكز سقفه على عمد . ثم يتلو ذلك قاعة كبيرة منحوتة كذلك في أصل الصخر ، ومحول سقفها على عمد أيضاً . ثم ينتهي القبر بحجرة صغيرة تشتمل على تمثال المتوفى . ولا شك أن من يذكر منكم تصميم المبدع المصري يرى في الجبال أن لافرق مطلقاً في الشكل بين « بيت الاله » ،

القبر
المصري

و « بيت المتوفى » . أما التابوت الذى يحتوى على الجثة فكان يوضع فى حجرة تحت الأرض يصل الانسان اليها يتر من قاعة للمعد

وقد حدث تغيير عظيم فى شكل مقابر الملوك فى أوائل الدولة الحديثة

حوالى عام ١٥٠٠ ق م . فقد كانت المادة للنبذة الى ذلك المهد أن يبنى

فرعون لنفسه ضريحاً هرمى الشكل قائماً بذاته فى وسط الجبابة . أما الآن

فقد أخذ فرعون يتخذ مشوى لموياه بفتح عدة حجرات فى جهة الجبل يصل

اليها الانسان بمر طول . وقد كان لارتفاع للصخرة نفسه يقوم مقام الكومة

للمأتمية (الهرم) التى كانت تقام فوق مضجع فرعون الأذى . ولم يمد الملك

يدفن وسط قبور رعاياه بل على مسافة فى واد منفرد من وديان سلسلة جبال

لويبا يكتشفه صخور قاحلة جرداء . ولما كان هذا الوادى ضيقاً جداً صار من

التحذر بناء معبد للمتوفى أمام قبره ، ولذلك كان زاماً فصل المعبد عن المقبرة ،

فأصبح فرعون يشيد المعبد فى السهل المجاور لهذا الوادى . وقد حفظت لنا

الأيام الى عصرنا هذا هذه المقابر للصخرة الملكية وما الحق بها من المعابد

الى كانت أحياناً آية فى الفضامة والآبهة ، وهى قائمة على منعة النيل القريبة

على مقربة من طيبة حاضرة الدولة قديماً

ولا يمد ان المعابد التى شيدها الملوك تحليلاً لذكرهم كانت تضارع فى

معداتها مسايد الالهة فى ذلك الحين . أما حجر قربان عامة الناس فيغلب

على الظن أنها لم تشتمل على معونات تذكر ، فكان غاية ما تحتوى عليه هذه

المعابد الصغيرة (حجر القربان) من الأثاث مائدتى قربان يقدم عليهما

طعام المتوفى ، وبضعة أباريق وأوان من الجرانيت تشتمل على الشراب المقرب .

وأحياناً تصعب بفتح مسلات صغيرة حجرية أمام الباب الوهمى تشبهاً

مقابر الملوك

معابد المتوفى
الصغيرة

معونات
المعابد الصغيرة

بالسلات الضخمة التي كانت تمام أمام بوابات المأبد الكبيرة. أما الضريح نفسه، أي الحجر المنحوت في جوف الأرض وهي التي يضطجع فيها المتوفى، فكان أوفر من ذلك عدة وأبهى روتقا. إذ كان يكثف الجثة في مخدعها عدد وفير من التحف، النرض منها تحقيق مصاب البيت واعداد وسائل السمادة له في الحياة المقبلة

وكانت الجثة تدفن في أقدم عصور التاريخ على هيئة القرضاء، ويداها موضوعتان على مقدمة الوجه. وكانت المادة التبعة أن توضع رأس المتوفى في الجهة الشمالية، بحيث يولى وجهه شطر الشرق حتى يرى الشمس المشرقة. أما الخنة فكانت أحيانا تلف في نسيج من الكتان، أو توضع في تابوت ساذج من الخشب جرت العادة أن يترك في القبر بدون غطاء قط. وأما الفرائض التي توضع مع المتوفى فكان القصد منها تفديته. وتشتمل على أباريق من الجعة وأوان أخرى تحتوي الآن على رماد يحتمل أنه بقايا طعام عروقي. وفضلا عن ذلك كان القبر يشتمل على أوان حبرية فيها كل أنواع الدهان، وعلى أطباق رقيقة غريبة الشكل كان يستعملها للمتوفى لوضع ألوان تجميل الوجه في آخرته كما كان يفعل في حياته. كذلك كان للمتوفى يسلم بكل أنواع الأسلحة ليبدأ بها عن نفسه غائلة الأعداء، ويُمَد بالتملويز للوقاية من شر الشياطين الرجيمة.

وفي عهد الدولة القديمة، أي في عصر بناء الأهرام، أخفت طريقة دفن المتوفى شكلا آخر جديدا، فلم يعد يوضع الميت في قبره على شكل القرضاء، بل أصبح يوضع على جانبه كأنه نائم. وفضلا عن ذلك صار رأسه يوضع على وسادة. وكانت الجثة تقسمها تُحَنَط بكل عناية، فتحول بعد إجراءات طبية

محتويات
للضريح

وسع الجثة في
القبر وغطها

طريقة الدفن
في الدولة
التي

عدة الى مومياء، وبذلك لا يخشى عليها من الانحلال والتلف . وكانت أحشاء الميت تترع منه وتدفن في أوان خاصة ، يطلق عليها للورخون الآن أواني « كانوب » ومحورها أربعة آلهة هم أولاد حوريس . وكان من واجب هذه الالهة أيضاً حفظ الجسم نفسه ووقايته من الجوع والعطش . فلك كان غطاء كل من هذه الأواني الأربعة يمثل غالباً واحداً من هذه الآلهة وهي : رأس انسان ورأس قرد ورأس ابن آوى ورأس صقر

أحشاء الميت وأواني كانوب

أما الجثة نفسها فكانت توضع في ماء ملح وتعالج بالقلندر ثم تلف في أربطة من القنيسج ، ويحشى الجوف الخالي من الأحشاء بقائف من السكتان والقش . على ان طرق التحنيط كانت تختلف باختلاف المصور . روى هيردوت أنها كانت في أيليه لا تقل عن ثلاث طرق تمتاز الواحدة عن الأخرى على حسب الثمن الذى يدفع فيها . وهالك وصف أغلى هذه الطرق : توضع الجثة بين أيدي محنطين مهرة اختصوا بهذه الحرفة ، فينزعون أولاً النخاع المحشى بوسطة خطاف من الحديد يرسل الى اللعج من اللنخر، وما نضر انثراعه من هذه المادة بهذه الكيفية يُستخرج بوسطة عقاقير كاوية . ثم تعمل فتحة في الجنب بآلة حادة من الطران ، وتترع منها الأحشاء فتتظف ويصب عليها نبيد للبلع وتضغ بكل أنواع البهار . أما البطن نفسها فكانت تقم بالمر وغيره من اللواد ذات الرائحة الزكية ثم تخاط ثانية . وترك الجسم بعدئذ مدة سبعين يوماً في محلول قوى من التترو . وبعد انقضاء هذه المدة تغسل الجثة مرة أخرى وتلف في أربطة من السكتان وتدهن بالصمغ . وبهذه الكيفية تصبح محنطة تحنيطاً من الدرجة الأولى . ويحيل الى أيها القارئ أنك قد سمعت ما فيه الكفاية من طرق التحنيط . ولعلك استمتع بك عذراً

التحنيط

في عدم وصف طريقي التحنيط الآخرين كما رواهما هيرودوت

وكانت المومياة توضع عادة في صندوق من الخشب أو الحجر الأملس
السطح ، على ظاهره غالباً بعدة أبواب وهمية يخرج منها الميت ويدخل ثامة
كما يشاهد ذلك في قبور الملوك في الأزمنة السحيقة جداً . كذلك كان يرسم
في طرف التابوت الذي فيه رأس المتوفى عينان أمام وجهه حتى يستطيع أن
يرى من تابوته ويشاهد الشمس المشرقة . وبمرور الزمن أصبحت جدران
التابوت الداخلية تنقش بنقوش خاصة بالحياة بعد الموت - (فصول من
متون الأهرام وكتاب اللوق) . هذا فضلاً عن تصوير كل ما يمكن أن
يحتاج اليه الميت في آخرته . من ذلك تصوير أصناف الطعام والشراب بكمية
وامرة ، كذلك الخيل والأسلحة والملابس والآلات الزينة والأحذية وغيرها .
ثم أصبحت التوابيت في العصور المتأخرة تصنع غالباً على هيئة مومياة بوجه
مكشوف وتحمل بأربطة كاذبة ينقش فيها بينها كتابات وأشكال آلهة المنرس
منها الحصول على سعادة للتوفى وراحته

ومنذ الدولة القديمة ازدادت القرايين للآتمية ازدياداً مضطرباً . وأحسن
مثال يدل على مقدار كثرة هذه القرايين الكثر الذي كشف في بداية القرن
المشرين في قبر أحد للكهنة في مدافن منف ، ويرجع تاريخه الى عام ٢١٠٠ ق م ،
ومحتوياته محفوظة الآن في متحف جامعة ليزيك ، وهي : نموذج مخزن غلال
من الخشب يحاكي المخزن الحقيقي في كل صغيرة وكبيرة ، وضع مع التوفى في
بره ليأخذ منه ما يستعين به على الحياة في الآخرة . وهو عبارة عن حوش
مسور يصل اليه الانسان من بوابة ويشتمل على حبر الغلال ، وفي وسط هذا
الحوش كانت تكال الغلال ، ثم يحملها الخدم في حقائب ، ثم يفرغونها في حجرات

التابوت
وتدوينة

محتويات
قبر كامل

الخنزير بواسطة فتحات خاصة . وفي خلال ذلك يسجل الكلاب وهو قاعد
القرصاء على كسب عدد الحفائب . وبهذه الطريقة كان للتوفى يجهز نفسه
بالود للتفنى التى تقوم بحاجته فى الحياة الآخرة . وكذلك كان منه نموذج
مطبخ لطهى طعامه ، تذج فى الحيوانات وتطهى وينجز فيه للميش ونصنع
الجمعة . وكان تحت تصرفه أيضاً أربع سفن صغيرة ، منها اثنتان تبحران
المجاذيف واثنتان بالقلاع ، ويديرها جميعاً نواتى مَصْفرة ، وكان الفرض منها
أن يسبح فيها للتوفى فى المياه السادة الى حقول أهل التميم . وكان لا بد
من استعمال النماذج أحياناً بدل الأشياء الحقيقية وبخاصة الأدوات الغالية
الثلث . فن هذه النماذج آلات نحاسية صغيرة وقوس سهام خشبية وكدا
وسادة وشلان من الخشب . هذا الى تمثال رجل وامرأة من الخشب الملون
تأخذ دقة صنعهما بمجامع القلب ، وهما يحملان أمتاف الطعام الى المتوفى
— منها أوزة — ويقومان بخدمته . وكذلك وجد فى هذا القبر أسلحة
وعصى وأطباق خزفية وأطريق مفعمة بألوان المأكول وأنواع للشرب

غير أن حيلة للمصرى لم تفته عند ما وصفت لكم من الأشياء التى
كانت تحفظ مع المتوفى . فقد كان يوضع فى قبره غالباً نماذج لبحول البحر
حتى يتسنى له صيدها فى آخره كما كان مفرماً بذلك فى حياته . وكذلك كان
يحمل معه آلات للطرب وللملح ليرتد ليتمتع بها ، ومراوح منقوشة بنقوش
بديمة ليروح بها عن نفسه فى قبره ، ثم تماثيل نسوة ليؤنس ككذلك . ومن
الغريب أن هذه التماثيل صنعت من غير أقدام حتى لا تضر من القبر . وكان
يوضع أحياناً مع المتوفى رأس آخر يحاكي رأسه مخافة أن ينزع منه الشياطين
رأسه الحقيقي فى الآخرة

هو
البرود
والأسرى
القدر

وقد أخذت التماويذ والتماثيل المسحورة قلب دوراً هاماً في تحقيق سعادة المتوفى في الآخرة . وذلك أنه لما كانت أعمال الزراعة في حقول البردى غالباً شاقة على المتوفى ، ظن القدم أنه يمكن مساعدته بوضع تماثيل صغيرة معه في القبر لمعاونته في الحقل ، ولهذا كانت تحمل معها آلات الفلاحة اللازمة ، وقد كتب عليها اسم المتوفى وأما تعويذة سحرية بولسيتها يدب فيها الحياة في الوقت المناسب فتقوم بأعباء العمل النوط بالمتوفى

يذكر القاري أن قلب المتوفى على ما جاء في عقيدة متأخرة كان لابد أن يورن أمام الإله أزرىس . ولما كان القلب الحقيقي ينزع من الجنة لما تقمصه عملية المحيط ، استعاض منه قلب صناعى من الحجر على هيئة جمل يوضع تحت أربطة المومياء . وكان يجب عن المتوفى في الحياة السعلى بواسطة تعويذة سحرية وهى : **أيهما القلب الذى أملكه من أمى . أيها القلب الذى يتعلق بوجودى لا تقف شاهداً على (في قاعة الحكم أمام أزرىس)** لا تكن خصمى أمام القضاة ، لا تناقضنى أمام القائم بأمر اليزان . أنت روحى التى فى جسدى فلا تدينى ولا تكذب على أمام الإله . وكان لديهم تيمة أخرى مصنوعة على هيئة عصا مقدسة وتبعد كالوثن

في مدينة بوصير (في الدلتا) . ولس فيها أنها كانت تمنع المتوفى من أن يطرد من دخول بوابة الغرب . وقد نقش عليها : **ظليقدم له الخبز والجمعة والكحك واللحم الوفير على مائدة أزرىس ، لأنه أصبح متصراً على أعدائه في الحياة الأخرى انتصاراً ميبكاً**

وأخيراً يجب أن نذكر تيمة على هيئة عفة مصنوعة من البشم الأحمر ، وكانت كثيرة الاستعمال وتعتبر رمز الإلهة أزرىس . وقد اعتقدوا أن من طوق

الدرس من
التماثيل
الصغيرة
في القبر

قلب الميت
والجسد

القام والسر
فيها

بها جيده ومقته أزيى بين رعايتها ، وكفلك اشرح صدر هوديس عند رؤيتها وفي رواية أخرى أنه كان لها سر آخر ياتل سر العصا المقدسة التي تكلمنا عنها آتقا ، أى بواسطتها يستطيع التوفي أن يخفوا أثر أزدريس في عالم الأموات ، فتفتح له أبواب الآخرة ، ويقدم له الشخير والشوفان في حقول البردى (في السماء) ، وصير كاللله الذين ينعمون هنالك

ولكنكف بالتقدم الذى ذكرناه من التماويز التي كانت تنطى بها المومياة في العصر الخالية ، كأنها مكسوة بدرج تدرا به عن نفسها ، وكان عددها يبلغ أحيانا المائة

وغنى عن الذكر أن قوما كالصربين بذلوا مجهودا عظيما في بناء مقابرهم واعدلدها ، كانوا يحتفلون حتا في يوم اللغن وهو اليوم الذى كان يدخل فيه الراحل « محده الأبدى » بطقوس ورسوم خاصة ، وان لم يكن لدينا مصورات من كل عصور التاريخ المصرى نستطيع أن نرى بواسطتها تلك الاحتفالات الماثمة وأى المين

ففى المدن التي لم تكن فيها الجبانة على الشاطىء الذى فيه المدينة كطيبة مثلا ، كانت تنقل للمومياة الى الشاطىء الغربى في زورق على بأحسن الزينة ، يتقدمه كاهن يزل الصلوات المفروضة وينشر عير البخور ، ويصحب المومياة أخدان التوفي وأقرباؤه رجالا ونساء يكونون ومنتحبون بأصوات مائة . وعندما ترسو الزوارق التي تحمل المومياة والمشيخين على الشاطىء الغربى يوضع التابوت على زحافة يجرها ثيران الى مدينة الأموات . حينها يصل محفل للمشيخين المحقشد الى باب القبر تؤخذ المومياة مرة ثانية من التابوت ، وتصب واقفة أمام الضريح يسندها كاهن ذو وجه مستمار يثقل

وصف
الاحتفال
بدم الميت

وجهه اتو ييس الله الجبانة . وفي الحين القدي يودع فيه الأهل والخلان لكتوفى
الوداع الأخير، كان للكهنة يتلون صلواتهم ويندون الرجل لسفره الأخير .
وفي هذه الآونة كان يعمل طقس خاص يسمى فتح القم . وذلك ان يفتح قم فتح القم
المتوفى بواسطة خطاف وتلاوة تماويذ سحرية ، فتعود اليه خاصية استعمال
فيه سواء أكان ذلك في الكلام أم الأكل أم الشرب . وبعد القتراف من ذلك
يحمل التابوت مشتملاً على المومياء الى فوهة القبر ويدل بأحبال الى أعماق
الرمس حيث يتلقاه المدفونون

ولعمري اذا كان هذا مقدار المجهود القدي يذلل في دفن آدي، فما أعظم
ذلك المجهود اذا كان المتوفى «الطاهراً»، أى اذا اخترت المتوفى حيواناً مقدساً .
والظاهر أن قدماء المصريين من أقدم عصورهم خصصوا جبانات لدفن
الحيوانات المقدسة التي كانت تحفظ في المأبد ، مثل العجل أيس والعجل
منيس وكيش منديس . فتم أن العجل أيس مثلاً كان يحفظ كالإنسان
بالضبط وتشيع جنازته باحتفال عظيم

وكانت عجول أيس تدفن في مدافن خاصة في العصور الأولى، فلما جاء
رئيس الثاني بى لها مدفنًا طاماً صار فيها يد كمية للزائرين . وهذه للقبائر
تعرف بالسريوم، وهي واقعة في الصحراء على كشب من سفارة . ولا تزال تلك
المدافن التي تحت الأرض بما تشتمل عليه من التوابيت الخيرية الضخمة
الهائلة موصع الأعجاب الى يومنا هذا

ولما أخذت عبادة الحيوان تزداد رسوخاً في البلاد، وذلك قبل الميلاد
ببضعة قرون ، وصار هديس الحيوان لا يقتصر على أفراد معينة بل يشمل
النوع كله ، إذ كان يستبر المظهر القدي يتجلى فيه الاله الحقيقي ، أصبح دفن

دفن الحيوان
المقدس

السريوم

مبارك
الحيوان
المقدس

حيواناته جميعها من الأعمال التي يستحق عليها ثواب. وقد أقيمت مدافن عظيمة لهذا الغرض يشتمل الواحد منها أحيانا على مئات الموميات. فكان في بربسة مثلاً جبانة عظيمة للمقط التي جذبت هنالك، وفي منف مدافن عدة للمالك الحزين المقدس، وفي أمبص (كوم أمبو) مدفن عظيم للتلاميذ الكبار التي يختلف طولها من ٦ الى ١٠ أقدام ويحاط بها غيرها صغيرة جداً. على أنه في أحوال خاصة كان يدفن الحيوان المقدس في قبر خاص به، ويوضع في تابوت وتنصب لوحة منقوشة على قبره. ومن الآثار القبرية في بابها من هذا النوع اللوحة الموجودة الآن بمتحف برلين، وغرابها تنحصر في أن ناصبها أغريق استوطن مصر. وقد أقيمت هذه اللوحة على جدث حية قتلها مجهول ونقش عليها بالأغريقية الركيكة العبارة الآتية:

أيها الغريب قف عند مفترق الطرق أمام الصبر العظيم وستجد
مفعماً بالكتابة

انصت بصوت مرتفع، أنا تلك الحبة المقدسة الطويلة العمر التي قضت
عليها يد شريرة جعلها من أهل الآخرة

محموت لوحة
قبر الحبة

ما الذي جنيت يا أشقي الناس يا غتيال حياتي؟

سيكون نسلي مهلكاً لك ولقبرتك، فانك بقنلي لم تقتل مخلوقة تهاب
على الأرض فريضة

فان نسلي الذي ينتشر على وجه البسيطة كمدد حب الرمال على شاطئ البحر
لا شك سيفقد بك الى جهنم، ولكن ذلك يؤجل حتى ترى أولاً بعيني
رأسك حث ذريتك

لقد أشرنا على ختام هذا البحث ، بعد أن وصفنا لكم على سبيل الإيجاز نهضة الديانة المصرية وتدهورها ومعتقدات المصريين في شئون العالم الآخر وعبادتهم للآلهة وللوقى

ويحمل بنا الآن قبل انتهاء كلامنا أن نعرض سؤالاً لا شك أنه عرض لكثير منكم لأنه يحسنه ، وهو هل كان للديانة المصرية أى أثر خارج وادى النيل ، وهل كان لها تأثير محسوس في ديانات الأمم الأخرى لاسيما اليهودية والنصرانية وصفوة القول هل كان للديانة قدماء المصريين شأن خطير في تاريخ العالم ؟

نخطت للديانة المصرية في الألف الثاني قبل الميلاد حدود مصر ، وذلك أنه لما أغار المصريون بجيوشهم على السودان ، وتوغلوا بها في آسيا حتى أوردوها شواطئ القرات ، وأسسوا هناك دعاتهم اداوتهم ، وأخذوا يخافوا حمايتهم ، حلوا الديانة المصرية خارج مصر معهم دياتهم الى تلك الأصقاع التي فتحوها . في تلك البلاد الثانية أقيمت معابد للآلهة المصرية وقدمت لها القرابين . بيد أنه لم يحدث قط أن أكره المصريون سكان البلاد للغلبة ، سواه أكلوا من الزرع أم الاسيويين ، على نبذ معبوداتهم الوطنية واعتناق ديانة الفاتحين ، اللهم الا أثناء الفترة القصيرة التي حكم فيها الملك الزائع المنحوب الرابع . بل أنهم على العكس أقروا للغلوبين على دياتهم القومية ولم يترسوا لها .

وقد كان للقام الأول بين الآلهة التي عبدت في الأقطار الأجنبية محفوظاً طبيعته الحال لرب الآلهة امون رع معبود طيبة وله الهولة الحديثة . بيد أن الإلهين رع حوريس وفتاح الخالوسيف للمدينتين الكبيرتين الآخرين (هليوبوليس ومنفيس) لم يفقدا عظمتها الخاصة من الإجلال والاحترام . وكان هؤلاء الآلهة الثلاثة مظهراً أو رمزاً للدولة المصرية ؛ فكل ما يقدم لهم

من آيات الخشوع انما هو اقرار بسلطان مصر على الشعوب المقهورة واعتراف بسيطرتها على البلاد المفتحة . لهذا كان بدعة مستحدثة ما حصل من تقديم فروض العبادة لقات الملك (الممثل الحى للسلطة المصرية) علاوة على آلهة الدولة . حقاً أن المصريين اعتبروا فرعون منذ قديم الزمان مثلاً بمجسداً للاله « حوريس » أو « ابن إله الشمس » ، كما سموه باختصار « الإله الصالح » ، ولكن لم يحصل قط أن فرعوناً كان أثناء حياته موضع إجلال وعبادة في مصر نفسها ، ولم يوضع تمثال أى ملك من الملوك بجانب تمثال إله المدينة في أى معبد من المعابد . وانما اجترأ القوم على هذه البدعة أولاً في البلاد الأجنبية أو بالحرى بلاد النوبة ، اذ لم تنثر في آسيا على أثر يدل على تأليه القرعنة وهم أحياء . ففي بلاد النوبة كانت تنشأ للمعابد الملوك مصر وتقدم لهم القرابين في « قدس الأقداس » . وفي أحد هياكل النوبة يرى فرعون متبوعاً عرش الألوهية بجانب امون وفتح أو رع حوريس ، تقدم لهم آيات الخشوع وشعائر للتفديس . وقد كان سكان النوبة الزوج الذين كانوا في عهد الفتح للمصرى لا يزالون يتجيطون في ظلمات الممجية ، أشد الناس خارج مصر قبولاً واحتراماً للدينية المصرية على العموم ؛ فلم يلبثوا أن تحضروا وتمسروا تدريجاً ، وأحلوا الآلهة المصرية محل آلهتهم القومية أو عبدوها بجانبها مصورة في هيئة مصرية . كل ذلك بلا منغط أو اكراه خارجي من السلطات المصرية . وكان سلطان الكهنة على الأهليين في النوبة أوسع وأقوى منه في مصر نفسها ؛ حتى أنه لما تكونت دولة منفصلة في أقاليم النيل مستقلة عن مصر وذلك حوالي سنة ١٠٠٠ ق . م صار ملوك هذه الدولة خاضعين كل الخشوع لسيطرة الكهنة ؛ فلم يكونوا يستطيعون القيام بأى عمل أو المضي في أى مشروع الأبد الحصول على رضا الآلهة أى للكهنة انفسهم

عادة الملك خارج مصر

النوبة أكثر البلاد قبولاً للدينية المصرية

عظم نفوذ الكهنة في النوبة

يشهد بذلك ما قاله هيرودوت « كان الملوك يسرون الى ميدان القتال متى أمرهم زوس امون على لسان وجيه وينهبون حينما يوجههم ». وكان التوبيون القدماء، أحرص من المصريين أنفسهم على تماثيل اللطيفوس الدينية لا سيما قوانين الأطمعة . وبما يروى في هذا الصدد أن بمانخي ملك النوبة لما ذهب في حملة الى أسفل وادى النيل حوالى القرن الثامن قبل الميلاد لم يسمح لأمرأه تلك البلاد بالدخول عليه « لأنهم كانوا نجسين يأكلون السمك وهو وجس ممقوت في القصر »

لا غرابة إذن أن نرى النوبة في عصر انحطاط الديانة وقلمن نفوذ الكهنة في مصر أشد مصرية من المصريين أنفسهم ، كما لا بدع في أن لكهنة المصريين حينئذ كانوا يعتبرون بلاد الحبشة للرحم الصادق للديانة المصرية الصحيحة . ومن هنا يتضح لنا كيف وقع كتاب الاغريق في ذلك الخطأ الخبيث حيث اعتبر الحبشة مهد المدينة المصرية القديمة كلها . على أن الزمان لم يلبث أن دار دوره ، فاضطحت الحضارة المصرية في بلاد النوبة ، كما تضائل شأن الديانة فيها . . ولعله لم يبق ثمة شيء مصري يذكر حينما أقيم الصليب في القرن الرابع الميلادي جنوبي جندل اسوان

وفي عهد الفولة الحديثة أدخل المستعمرون للصربون عبادة إلههم للقوى الأكبر « امون رع » الى واحات صحراء ليبيا الواقعة غربى وادى النيل ، وظل هذا الإله معبوداً هناك بعد أن سقطت زمامته على الالهة المصرية بمدة طويلة . وقد أقيمت لامون مآبد في الواحات الخارجة والبحرية وهما السهتان عند الرومان بالكبرى والصغرى ، ولكنهما لم تبلغ من الشهرة وبعد الصيت ما بلغه معبده للقدس في واحة سيوه موطنه لظاخص . وكان لامون في هذه الواحة أيضاً

الخبشة ليست
بهذه الديانة
للمصرية

مادة آمون
في الواحات
وجيه

تمثال وحى مشهور على نسق وحى طيه . وقد ذاع صيته سريعاً في أقطار ليبيا
 المجاورة ووصل الى سيرين حتى لقد بلغ بلاد اليونان . وقد عد هذا الوحى في عهد
 « سيرس » في القرن السادس قبل الميلاد من أصدق ألثة القتيب وأعظمها شأنًا
 في العالم القديم . بيد أنه لم يبلغ أوج شهرته ووقته بحمد إلآ في سنة ٣٣١ ق.م. وذلك
 لما قام الاسكندر الأكبر برحلته المشهورة خلال الصحراء ميمماً هذا الوحى ،
 لحياة كهنة امون الذى كان يمثل برأس كبش وجسم انسان بقلب « ابن الإله »
 وقد أثرت الحضارة المصرية وعظم نفوذها أيضاً في سورية وفلسطين
 حيث اتحدت السلطة المصرية بالسيادة المطلقة فروعاً عدة أثناء الألف الثانى
 قبل الميلاد . بل ان العناصر المصرية زاحمت الفنون في سورية وامتزجت امتزاجاً
 غريباً بالعناصر البابلية الأقدم عهداً والتي كان لها حتى ذلك العهد المكانة الأولى
 كذلك كان شأن المتمدنات الدينية المصرية قائماً وجدت صدىً رجباً في المدن
 السورية التي احتلتها جيوش فرعون ، وشيد في أمكنة عدة معابد للآلهة المصرية .
 نذكر من ذلك على سبيل المثال المعبد الذى أقامه رمسيس الثالث في كنعان لإله
 الدولة امون . بيد أن الآلهة السورية « بعل » و « اشتاروت » لم تفقد مكانتها قط
 بهذه الاغارة الأجنبية ، بل على العكس كان لها من المصريين المستعمرين احترام
 واحلال . وهكذا لم ترسخ قدم الديانة المصرية في سوريا على ما يظهر ، ويحتمل
 أنه عند السحاب آخر حامية منها انصطعت بقاء تلك القراين التي كانت تقدم
 للآلهة المصرية .

انتشار الحضارة
 والديانة المصرية
 في سوريا

هكذا كان مبلغ تأثير الديانة المصرية في البلاد للتمدنية الأجنبية . ولكنه
 يرجح أن تأثيرها في القرى الذين استوطنوا وادى النيل كان بطريقة مختلفة
 جداً ، فان هؤلاء الأجانب أينما ساروا أو حلوا في المدن أو الأرياف كانوا

تأثير الديانة
 في القرى

حتمًا يَختلطون بالكنهه المصريين ويحتكون بألثمتهم ويقفون على أساليب عباداتهم التي تسير على قواعد ثابتة من أقدم عصور التاريخ .

وعلى ذكر القرباء سينصرف ذهنكم في الحال كما انصرف ذهني الى بني اسرائيل الذين استوطنوا أرض غوش (وادي الطميلات) مدة طويلة على ما جاء في التوراة ، والذين نشأ بينهم العظيم موسى في كنف فرعون وتربى في حماه وتلقى الحكمة من افواه كهنته . على أني اذا تكلمت عن لفظة بني اسرائيل في بني اسرائيل مصر وبمشت في تأثير ديانة المصريين وحضارتهم في العبرانيين سأكون مضطراً لقصر كلامي على الحقائق الضرورية فقط . وليس قصدي أن أثير مجادلة أخرى عن منفيس وموسى كالمجادلة عن بابل والانجيل وهي التي أفتقت بال كثير من الناس في المانيا وفي بلادكم أيضاً

يخدر بي أن ألاحظ أولاً أنه لم يرد في موضع ما من الآداب المصرية أي ^{ذكر يوسف} إشارة لاقامة يوسف في مصر ، حتى لم يمس موسى نفسه لم يذكر في شيء من ^{وموسى في} الآداب المصرية ^{الآداب المصرية} الكتابات المصرية ، وهذا ما جعل كثيرين من محدثي المؤرخين على الشك فيما ورد في الانجيل من الحوادث التاريخية للسيرة وعدها من الخرافات . . بيد اني لا أرى هذا الرأي البالغ في الالحاد . حقاً ان ما ورد من القصص في أسفار موسى مزخرف بكثير من التزيينات الدخيلة والخرافات التي لا تخص بها هذه الأسفار - وهنا أشير فقط الى قصة يوسف وامرأة العزيز وإلى ^{حوادث الانجيل} ^{التاريخية} رؤيا يوسف - ولكن أجزاء التوراة الأخرى الخاصة ببني اسرائيل في مصر تكشف لنا معلومات دقيقة عن حالات مصر القديمة ، هذا الى أنها تلاءم فراغاً منسماً من تقاليد بني اسرائيل للوروة . فلك لا نجد سبباً لتفنيها بلامناقشة أو اعتبارها غير تاريخية . على أنه من الصعب جداً تمييز الحقائق التاريخية من

الأساطير الواردة في سفر التكوين وخروج بني اسرائيل من مصر، فإن هذا ليس بأسهل من وضع جداول المصادرات التاريخية الواردة في قصة نيلنجليد (Nibelungenlied) بدون سابق معرفة لمجرة الأمم. وأرى أنه لا ينبغي أن تعتبر من الحقائق التاريخية غير أمرين هما إقامة بني اسرائيل في مصر ثم شخصية موسى. أما تعيين تولوخ إقامة بني اسرائيل وخروجهم من مصر فما لا سبيل فيه، وحسبنا أن نعتبر وقوع هذه الحوادث في النصف الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد.

لا نزاع في أن العبرانيين عند خروجهم من مصر حملوا معهم كثيراً من العادات والتقاليد المكتسبة من حضارة تلك البلاد. أليس «من بين الآلهة التي أخرجت بني اسرائيل من مصر» ذلك العجل للقدس أو العجل الذهبي الذي عمت عبادته شواطئ النيل؟ أضف إلى ذلك أن اسم موسى المؤسس للديانة اليهودية يدلنا في الحال على ما كان بينه وبين الحضارة المصرية من وثيق الصلة؛ فإن ذلك الاسم مصري والمجزء الأول منه «مس» ومعناه ابن، ونجد في كثير من أسماء الأشخاص في عصر الدولة الحديثة مركباً مع أسماء الآلهة، وذلك مثل «امين مس» ومعناه ابن امون، و«تموت مس» ومعناه ابن الإله تموت، أو «اصع مس» وهو الذي حُرِفَ في اليونانية إلى «اموسيس» و«اماسيس» ومعناه ابن القمر.

أثر الديانة
المصرية
في ديانة
بني اسرائيل

لهذه الاعتبارات كان من المرجح جداً أن تكون الديانة التي جاء بها موسى قد تأثرت بمعتقدات المصريين، كما أن شريعة بني اسرائيل وشعائر عبادتهم احتوت كثيراً من العناصر المصرية. فثلاً السفينة المقدسة الجديدة التي ذكرها موسى فلها ليست إلا نموذجاً من السفن المصرية التي نجدها

في القصور التي كان يحفظ فيها تمثال الإله على ما وصفنا آنفاً. ولدينا بدل السفن المنقصة التي كانت تستعمل في النيل عند قدام المصريين تلك السفينة التي استعملها بنو إسرائيل للعبادة في الصحراء. وصعب علينا بلا شك أن نذكر بالتفصيل مقدار ما بقي في ديانة بني إسرائيل من الآراء المصرية القديمة بعد أن عصها الأنبياء. وينبغي أن أحذركم على الخصوص من فكرة عم اعتقادها يوماً ما وهي أن التوحيد عند بني إسرائيل كان ارتكاً دينياً من كهنة عين شمس، وأن التوحيد الساذج الذي نادى به لمتعرب الرابع كان له تأثير في ديانة بني إسرائيل؛ فإن هذا تخمين ضئيف ليس في تاريخ الديانات ما يساعد عليه. ومن المرجح من جهة أخرى أن القبول الشعري من التوراة قد اقتبست كثيراً من التغيرات المصرية، وإن أجزاء كاملة من الآداب العبرية سيما الحكم والأمثال الشعرية قد أفرغت في قالب مصري. ولا يميز عن بالنا أن ثمة كثيراً من أوجه التشابه والتطابق بين الأناشيد البابلية والعبرية. لهذا كان من الصعب جداً أن نقرر بدقة مبلغ تأثير بابل ومنغيس في الآداب المصرية على أنها لا تشك في أن أحسن الأشعار الولودة في التوراة من أصل عبري بحت. ولظواهر فضلاً عما تقدم أن الحياة المصرية كانت ذات أثر بليغ في التماثيل الاسرائيلية المتأخرة، وذلك في عهد الحكم اليوناني حين استوطنت طوائف جهة من اليهود الاسكندرية وغيرها من المدن المصرية

ولعل أهم المعتقدات التي أخفتها اليهودية للتأخرة وبالتالي بعض طوائف المسيحية عن مصر في ذلك الحين ما تعلق منها بالعالم الأخرى. فلما إذا وجدنا في المسيحية الأولى في الفصل الأخير من الانجيل ذكرًا لبوابة من الشبه للعالم السفلي خطر يائنا حتماً تلك البوابة للتأخرة للعالم السفلي عند قدام المصريين.

أهم المعتقدات
التي أخفتها
اليهودية
والمسيحية
عن أدانة
المصرية

هذا الى أن اعتقاد اليهودية المتأخرة والمسيحية في البحث نشأ على ما يظهر من آراء خفية غريبة تذكرنا كثيراً بأراء المصريين في أوزيريس وعودته الى الحياة . وهناك أيضاً نرى لذلك وكل فرد من بعده قد ماثل الإله وحل به ما حل من تصرفات الخلدان . غير أنه من المؤكد أن الآراء المصرية ليست وحدها المصدر للشئ من نشأة معتقدات اليهودية والتنصرانية في العالم الأخرى . ومن المستحيل اليوم أن نقبل العناصر المصرية البحتة فيها

ويمكننا بأوضح من هذا أن تتبع تقدم وتأثير الآلهة المصرية في العالم اليوناني الروماني ؛ ففي القرن الثالث قبل الميلاد أدخلت صنوف المبادات المصرية في اليونان ، سيما الإله الجديد سرايس وطائفة الآلهة المتصلة بأوزيريس وهي أوزيرس وابنها حوريوخراد « حوريس الطفل » وكذا أنوبيس . وقد وجدت هذه الآلهة طريقها من اليونان الى ايطاليا ورومية حيث بقيت مكاناً رجباً ومقاماً سهلاً . وقد اجتذبت هذه الناسك الخفية الأجنبية عقول عامة القوم ، وزادتم تلقاً بها وحرصاً عليها انكار الحكومة لها مما جعلهم على مزوالها في الخفاء . واستمر الحال كذلك حتى أجز في النهاية بعد عن عدة إقامة شعائر الديانات الأجنبية بين جدوان رومية وذلك في عهد « كركالا » في مستهل القرن الثالث قبل الميلاد . وقد بنى الإمبراطور قسطنطين معبداً ضخماً لسرايس على « الكركال » ، وأخذ الآلهة المصريون يمتلئون هناك دوراً هاماً في الحياة الدينية ، ولا أدل على ذلك مما أبداه المسيحيون فيما بعد من شدة المقت وفراط الحقد في محاربتهم لهذه العبودات الوثنية

تأثير الديانة
المصرية و
الحياة اليونانية

سرايس
في رومية

وقد تنقلت للمسيحية في النهاية على الديانة المصرية كما تنقلت على اليونانية . ولكن الديانة للتصرة احتفظت بآثار داخلية وخارجية من كل من

مسابقتها . فلا بدع اذن أن تكون الديانة المصرية للكافة الخطيرة التي لها في تاريخ ديانات العالم

يقول «ثيودور موسن» : إن وضع تمثال مصري بجانب التحف اليونانية يكون له من التأثير في النفس ما لحذاء المروس الذي لبسته في طفولتها ، إذا عرض يوم زفافها . وإذا كان هذا التشابه حقيقة في التمثال كان كذلك في الديانة المصرية إذا قرناها بالفلسفة اليونانية أو الديانة المسيحية . على أن ما وصلنا إليه من البحث في التتبع المصرية يدلنا على أن ديانة القوم لم يكن فيها أسرار عميقة ، وأنه لم ينطق فيها بكلمة الحكمة الأخيرة كما تخيل علماء اليونان وقتاً ما . ولن نكون نمائيل الآلهة للمصرية ذات الرموز الحيوانية والرموز الغريبة مأفوفة لنا كما ألفنا الهة ألمس ، وبقاء شبابنا . ولكننا مع ذلك نجد بين ثابا الديانة للمصرية وطفوسها تياراً فياضاً من الديانة الصادقة له من القوة ما به ينقلب على ذوى العقول الراجحة . وأرجو أن أكون قد وقفت الى تفهيمكم ما فيه الكفاية بما سمعتموه مني . وأختتم بكلمات « جيتي » الخالصة . « الله هو للشرق ، الله هو الغرب »

كشف لمراجعة صور ما في الكتاب من الالهة وغيرها

الاسم	الصفحة	رقم الصورة	أهم المواضع التي ذكر فيها
أزيس توضع حورس	١٣٢	١	صفحة ٢٨
الموديس	>	٢	١٦
الاله حرو حراد	>	٣	٥٦
المودة المصور	>	٤	٣٩٤٣٠٤١٨٤١٧٤١٠٤١٤
أزيس بن أخيه . (أزيس ، تقيس)	>	٥	١٠٠٤٣٧٤٢٠٤٢٤
المودة بت	>	٦	٢٨
> سفت	١٣٣	١	٤٣٤٢٢٤١٩٤١٨٤١٠٤١٤
المود فتاح	>	٢	١٢١٦٥٧٤٠٤٤٢٨٤٢٣٦١٤
> قترم	>	٣	٢٣
المعل أيس (يكتفه أزيس ، وتقيس)	>	٤	١٢٦٤١١٩٤٠٨٤٢٠
أزيس في شكل المصور	>	٥	أنظر الكلام على المصور
المود بسك (المظه)	>	٦	١٢٠٤٢٠٤٨٦٤٤٣
> خنس	>	٧	٤٦٤٢٣
أزيس المصنة	١٣٤	١	٨٦٤٨٥
المود حيك (التاج)	>	٢	١١٩٠٢١٦١٩٥١٧٤١٤
حوريس على رأسه التاج	>	٣	أنظر الكلام على حوريس
المود آويس (ابن آوى)	>	٤	٥٦
> قتم	>	٥	٥٣٤٣٩٤٣٧٤٣٤٢٣
المودة بيت	١٣٥	١	٣٩٤١٤
أهوتب الحكيم	>	٢	٥٧
الاله شو	>	٣	أنظر الكلام على شو ص ٢٥ الخ
ثالث الهة المصونة (أزيس ، أزيس ، حوريس)	>	٤	٨٠
الاله حوريس	١٣٦	١	١٢١٤٢٧٤٢٤٤٢١٤١٧٤١٦٤١٤

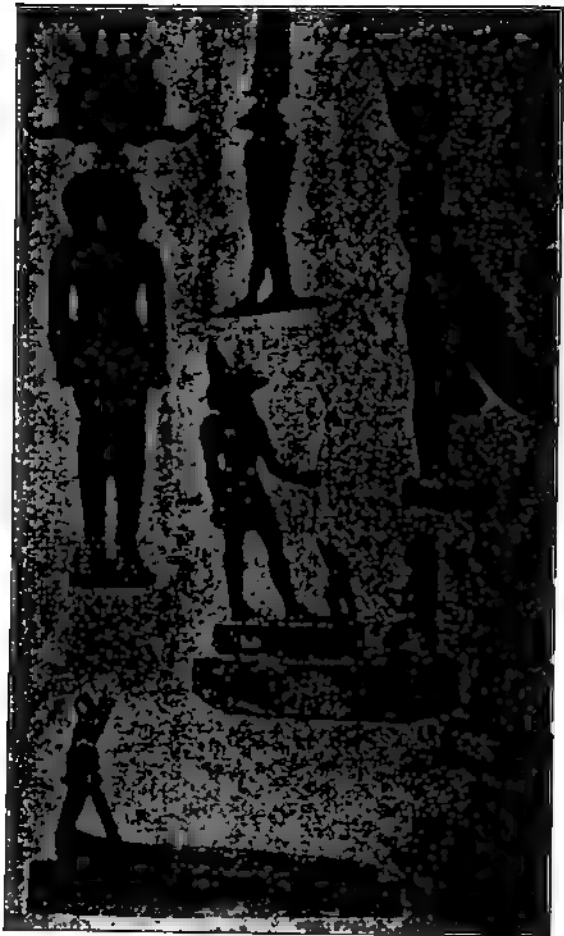
الاسم	المسحقة	رقم المسحقة	أهم للمواقع التي ذكر فيها
المسودة تورت قباعد التباء صد الوضع	١٣٦	٢	مسحقة ١٦
حوريس بهت	٢	٣	٢٢
المسود « من »	٢	٤	١٩٥١٧٤١٥
حوريس لابس كاج أليه	٢	٥	أختر الكلام على حوريس
المعبل متليس	١٣٧	١	١١٩٤٢-
المسود سوتخ (ست)	٢	٢	٢٠٤٢٠٤٢٤٢٣٤١٤
لمة المعبل « عمت »	٢	٣	٧٣
الاله آمون رع (قاجاً على الأسرى)	٢	٢	١٢٤٥١٣١٤٧١٤٧٤٧٤٧٤٧٤٧
اختاتون وآسرة يبعون أتون	١٣٨	١	٤٩٤٤٧٤٤٦ الى ٥١
كيش متليس (جيت بطليوس وزوجه)	٢	٢	١١٩
رمز أنريس	٢	٣	أختر الكلام على أنريس
صوره الاله شوبند نوت وعلى ظهرها رودق الشمس ونحت دلها الاله جب	٢	٤	٨٠٤٣٧٤٢٩٤٢٠
اله النيل	٢	٥	٨١٩٨٠
قاعة النعل أو يوم الحساب	١٣٩	١	١١٧٤١٠١
فتاح سكريس أزدريس على منشوق من القردى	٢	٢	٦١
المسود وتوات	٢	٣	١٨٤١٧
الروح (بالى)	٢	٤	٩٤
امسوت الثالث وقرشته (لكسا)	٢	٥	٩٠٤٩٤
المسود نجوت	٢	٦	٧٤٧٤٤١٠٤٢٨٣٧٤٧٤١٩٤٧٤١٦
الباب الزهى أو الكاف	١٤٠	١	١١٧٤١-٩٤١-٨
المسود آمون	٢	٢	٤١٤٢٣٤١٧٤١٠
الاله رع يفتاً من ذهرة الزنبق	٢	٣	٣٠ أختر الكلام رع في مقام الكتاب
تخطيط للمسود للمرى	٢	٤	٦١ الى ٦٢



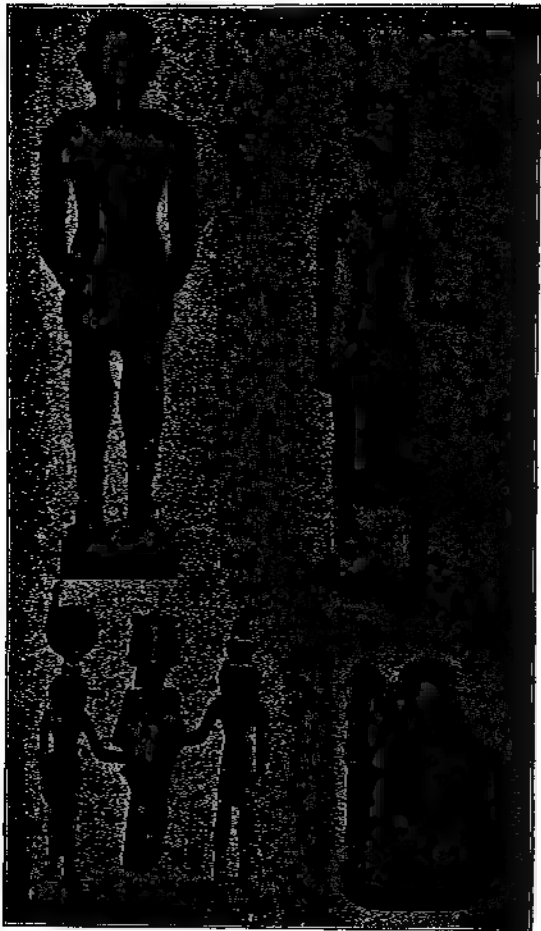
(١) الزوس ترضع حوريس (٢) الميرة « بي » (٣) الميرة حوريس
(٤) الميرة حوريس (٥) الزوس بن اخته الزوس وكتيس (٦) الميرة حوريس



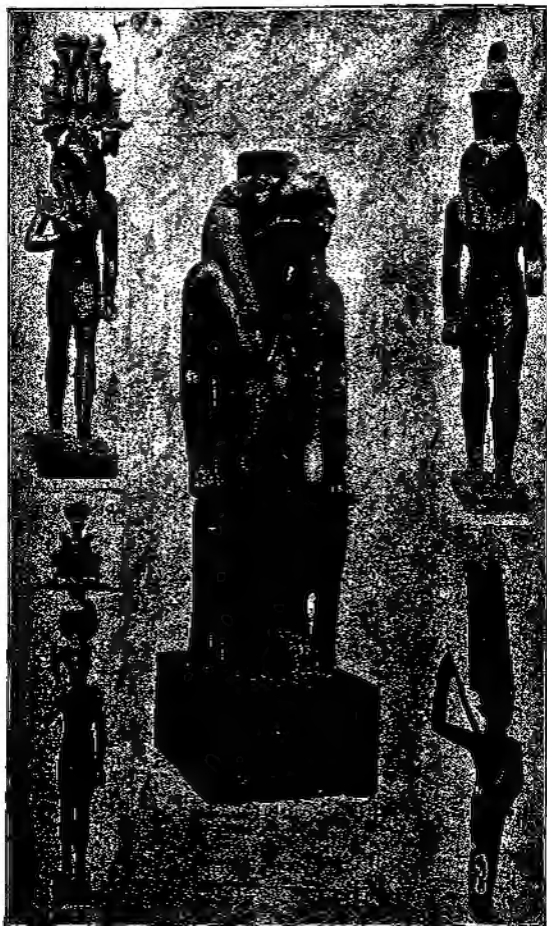
Figure 1. The figures are made of black wax and are displayed in the Museum of Modern Art, New York. The figures are arranged in two rows: three in the back and four in the front. The central figure in the front row is a quadrupedal animal, possibly a dog or cat, with a human-like torso.



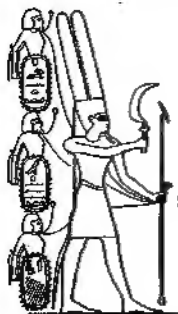
(١) اليس الممجة (٢) المسودة الى الزمان (٣) حوريس لاها قاج
(٤) المهور الويس (٥) اللى آوى (٦) اللى آوى



(۱) الالهة بنت (۲) امحوتب الحكيم (۳) شو (۴) التالوت (أوزيرس وحوريس وازيس)

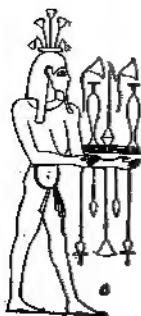


(۱) الاله حوريس (۲) الاله تواريت (۳) المبود حوريس (پشت) ای اشور
(۴) المبود د من (۵) المبود حوريس لاهیا تاج آیه ازديس

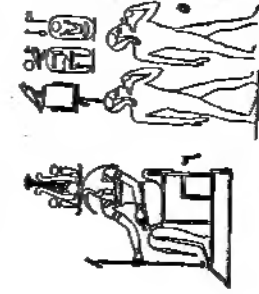
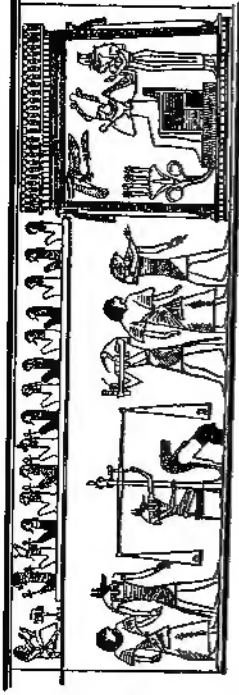


(٢) الإله سوتخ (ست)
(٤) الإله الاشم-اول وج عاجباً على الأتري

(١) لوحة تمثل عبادة السيل متيس
(٣) إلهة للعدل « ممت »

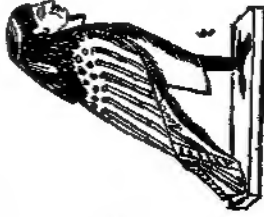


(۱) اِختاتون و زوجه بیدلان قرص الشمس (آتون) (۲) الکیش مندیس (۳) رمز اویس
(۴) الاله شو یسته توت وعل طهرها زورق الشمس و تحت ورجها الاله جب (۵) الاله التیل



(٣) الميود وبيوت

(٦) الاله تحوت



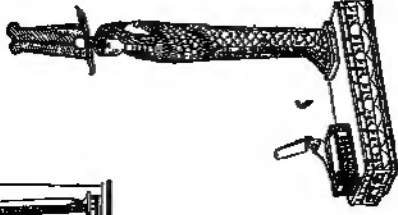
(٣) فلاح سركاريس الازريس على صندوق من البردي

(٥) امسوتب الثالث وقربته (اللكا)



(٣) فلاح سركاريس الازريس على صندوق من البردي

(٥) امسوتب الثالث وقربته (اللكا)



(٣) فلاح سركاريس الازريس على صندوق من البردي

(٥) امسوتب الثالث وقربته (اللكا)